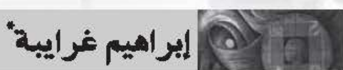
الجامعة الأردنية وخمسون عاما من العمل


إبراهيم غرايبة*

ليست الجامعة الأردنية فقط مؤسسة تعليمية رائدة يدرس فيها اليوم حوالي 40 ألف طالب، وتخرج منها حوالي 150 ألف طالب، في مختلف التخصصات، ويعمل فيها أكثر من 1400 أستاذ جامعي من بينهم 350 يحملون مرتبة الأستاذية، ويعمل فيها أكثر من ألف موظف وألفي عامل ومستخدم في المهن والحرف والخدمات المساندة، ولا يقاس أثرها فقط في مستشفى الجامعة الرائد والمتقدم في العلاج والخدمة الطبية للمجتمع والقادمين من الخارج، أو مراكزها التنموية والخدماتية، ومراكز الدراسات والبحوث، فذلك كله على أهميته ومركزيته ليس إلا جزءا من الجامعة، .. بمثابة

* رئيس التحرير

نواة صلبة تتشكل حولها المشروعات والحالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وهذا هو المقياس الحقيقي والأكثر أهمية لأي مشروع اقتصادي أو تنموي، .. وببساطة هذا هو التقدم، أو إن التقدم الفعلي يقاس بمتوالية النتائج والمشروعات المتشكلة حول الجامعة أو أي مشروع، من منظومات اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية؛ فالجامعة الأردنية تعبر عن رحلة الدولة والمجتمع والأعمال ومسارها عبر نصف قرن من الزمان، ويجب أن نقدرها ونقيمها أيضا بأثرها وموقعها في مسيرة الدولة والمجتمع والاقتصاد والأعمال، إنها قصة التقدم والفرص والتحديات والإنجازات التي حققناها، والتطلعات التي ندركها ونتمناها، .. في هذا الفرق بين ما نرغب فيه ونتمناه وبين واقعنا وإنجازنا الحقيقي ندرك أثر الجامعة، ونعرف أيضا (يفترض) كيف ندبر مواردنا واحتياجاتنا وأولوياتنا، .. وكيف ننجح ونتقدم.

عندما بدأت الجامعة الأردنية تستقبل طلابها وتبتعث الشباب لإكمال دراستهم كان التعليم والعمل في الأردن يخطوان نحو التشكل المهني والمؤسسي الذي تقتضيه الدولة الحديثة، وكانت الموارد محدودة، والمتطلبات والتطلعات كبيرة جدا، ولكنا يمكن أن نلاحظ اليوم ونرى على أرض الواقع إنجازات كبيرة ومتوالية من الأعمال التي تولد إنجازات وأعمالاً أخرى كثيرة على نحو مستمر ومتواصل نكاد نظن أننا حققنا أفضل مما كنا نحلم به ونتخيله في منتصف الستينيات، الجامعات الحكومية والخاصة التي تقترب من الثلاثين، وعشرات الآلاف من الأساتذة الجامعيين والأطباء والمهندسين والمحامين والمعلمين والمهنيين والاختصاصيين، هذه الشبكة الواسعة من العاملين المؤهلين تأهيلا عاليا ومتقدما في المدارس والجامعات والبنوك والمستشفيات والشركات والوزارات والمؤسسات في معظم أنحاء الدول العربية ودول العالم تمثل أهم ثروة معرفية واقتصادية للدولة والمجتمع والشركات والأعمال، وهي بدورها تنجز من الأعمال والمعارف والموارد الجديدة أضعاف ما أنتجت وقدمت الجامعة على نحو مباشر، وهذا هو أحد مقاييس النجاح والإنجاز، الخريجون الذين ينتجون معارف ومهارات وموارد متواصلة ومستمرة "كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة" كانوا عماد النهضة والتنمية في البلد، وكانوا سفراءنا في العالم يقدمون للمجتمعات والدول حول العالم التعليم والعلاج والإغاثة والمهارات والإدارة والتنظيم والخدمات الفنية والتقنية، وساهموا مبكرا في إنشاء موارد جديدة لأنفسهم ومجتمعاتهم تواجه شح الموارد ونقصها في البلد، ..

ولكن لدينا الكثير لنتذكره ونعرفه ونقدره حق قدره، هذه الملحمة الكبرى من الحلم والخيال والجهد والعرق والعمل والقصص والذكريات الجميلة، الجامعة هي نحن وأبناؤنا وأحفادنا، ويبدأ النجاح والمحافظة عليها باستحضار قدسيتها وهيبتها في نفوسنا وحياتنا وذكرياتنا، فنحن ما نتذكر .. ونحن أيضا ما ننسى.

الجامعة الأردنية التي ابتدأت أعمالها بخمسين ألف دينار تمثل قصة الإنسان الأردني كما كان طوال التاريخ الذي يراهن على عقله ونفسه ومهاراته لينشئ موارد جديدة ومختلفة.

.. ولأجل ذلك وغيره فإن الجامعة الأردنية تستحق منا أكثر.

مِنْ أَرِيجِ الذِّكْرَيَاتْ



أحمد الجــهمي*

في مرْفَأٍ مِنْ هَدِيلِ الأَرضِ نَغْشَاهُ
كَانَتْ تُعَبِّقُ قلبَيْنَـا حَكَايَـاهُ

كُنَّا على شَذوِنَا نَحْنُـو فَيُشْعِلُنَا
صَوتٌ بَرِيء بأقصَى الرُّوحِ نَهْواهُ

وبينَ أهدابِنَـا للبوْحِ كَانَ لَنَـا
شَطٌّ منَ النُّورِ إنْ شِئْنَا غَشِيْنَاهُ

للوقتِ في رَمْلِهِ عُرسٌ يلوذُ بِنا
كأنَّنَـا في سَمَاءِ الشَّطِ نَجْمَـاهُ

* طالب دراسات عليا

وَكُنتِ بَمْتِ نَحوَ القَلبِ أغنيـةً
خَضْرًا وَأَزْهَرَ صُبْـحٌ في حَناياهُ

ما كَانَ آدنَاكِ منْ ظِلٍ يُبَعثِرُني
صوبَ الشُّروقِ وَقدْ آنستُ مَعْنَاهُ؟!

فَكَيْـفَ امسيتُ لا عِطرٌ ألوذُ لهُ
منْ بَارِقٍ بثَّ فيْ رُوْحي شَظَايَاهُ

ولا مَدىً كُلّمَـا أمّلتُ غيمَتَهُ
مُدّت على مهلٍ بِالشّمسِ كفَّاهُ

كيف انقضى الموسمُ الوَرْديُّ؟! لي كَبِدٌ
لم تَرتشفْ كَطيورِ النَّهرِ سُقْيَاهُ؟!

ولي منَ الشَّوقِ أسْفَارٌ تَنوءُ بِهَا
روحٌ تَئِنُّ وَحبرُ الرُّوحِ ذِكْراهُ

كَيفَ انقضَى وَسِمَانُ العُمْرِ في نَظَرِي
تَذْوِي وَمَا ادَّخَرتْ كَفَّايَ إلاَّهُ!

سَنَابِلُ الحُلُمِ المُنْسِيِّ في رِئَتِي
(تَتْلو الضُّحَى) فَمَتى يَا مَيْسُ أحْيَاهُ؟





وَدِدْتُ لو

أميـن الـــربيع*

وَددتُ لو
يكونُ لي براعةُ الحكيمِ في تقمُّصِ الدُّهونِ
واحتباسِها بأحرفٍ شِباكْ
وَددتُ لو،
لكنَّ لي حَماسةَ العائدِ للعِناقِ، وانتفاضَةَ الغِرِّ
ومُتعَةَ الفَراشِ حينَ يَلعَقُ الحقيقةَ الهَلاكْ!

وَددتُ لو،
يكونُ لي جَسارةُ المقامِرِ العجوزِ أو صَفاؤهُ
بعد الخروجِ خالياً إلّا من ابتسامةٍ ساخِرةٍ
وموعِدٍ آخَرَ مع حليفهِ الأملْ!
وَددتُ لو، لكنَّ لي صبراً أقلّ
أو ربَّما خوفاً كبيراً - لا أتمُّهُ -

* شاعر أردني



على هِباتِ هذه الحياةِ
شُرْبُ فنجانٍ من القهوةِ مع سِرْبِ إوزٍّ
غامِضِ الوجهةِ دوماً مَثَلاً!
أو رُبَّما خوفي الطَّبيعيُّ - أنا الإنسانُ -
من غياهِبِ الأجَلْ!

وَددتُ لو
يكونُ لي مَقْدِرَةُ الطِّفلِ على الإقناعِ
وانتهازِ عَطفِ أُمِّهِ بنظرةٍ مُخاتِلَةْ!
وَددتُ لو
لكنَّ لي وجهاً مُقعَّرَ الخطوطِ
- عكسَ داخلي - ونظرةً مُقاتِلَةْ
وليسَ عندي حُجَّةٌ عقليَّةٌ ثابتةْ
لأقنِعَ الجميعَ بالصَّحيحِ - مثلما رأيتُهُ -
فللجميعِ رؤيةٌ لِما يَصحُّ
أو يصحُّ أنْ يَصحَّ في الحياةْ..
وللحياةِ قولُها أيضاً
ورُبَّما جمالُها تَعدُّدُ الجِهاتْ!

وَددتُ لو
يكونُ لي مَقدِرَةُ الحالِمِ - في خيالِهِ -
على صياغةِ الأمورِ وارتجالِها كما يُحِبُّ أنْ تكونْ
وَددتُ لو
لكنَّ لي مَقدرةً تَخُفُّها كُلُّ الأساطيرِ ولا تَدخُلُها
ولي قناعةٌ كأنَّها قُقاعَةٌ
متى تأزَّمَ الحالُ عَضضتُها وطرتُ للجنونْ!
لكي يكونَ لي تَفاعُلي معَ الظروفِ
وارتجافةُ الأمامْ!
فليسَ للحكيمِ إلّا وحشةُ البومةِ
والتِماعةُ الكَلامْ!

زادوهم رهقا



أوس عدنان*

لغة تشيخ على شفاه مدينةٍ
ويد بكت
ويد تموتُ
للدمع رائحة السكوتْ
للدمع رائحة السكوتْ

عينان مغمضتان خلفهما خيال وارفٌ
وظلال أغنية تكسّر غربة الكلماتِ
منديل يغني:
"لسه فاكر ..
كان زمانْ"

---

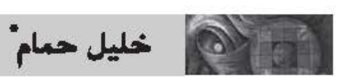
* شاعر أردني

ويغيب في الملكوتْ
لغةٌ تشيخ كقبلة نضجت وحان قطافها
الريح تنثرها وحبات الغبار تؤزّها أزّاً
وتنكرها المساجد والكنائس والبيوتْ
كانت ملجأةً
وكانت ثورةً
والآن تصرخ وحدها مثل النبي ببطن حوتْ:
متشبثاً قلمي بثوب قصيدتي
يبكي حروفاً والحروف توزّعهْ
نادى قصائده فغص نداؤه
بجروحه وقروحه لا يسمعهْ

عاف الرقى فأقام صدر محبّته
ينأى الكريم وقلبه لا يتبعهْ
هجرت قريحته القوافي باكياً:
لا تعذليه فإن عذلك يولعهُ
لغة كمن يأتي بكأس ثالث
لكنه ثمل الفؤاد مرقّعه
لغة تراود ميتاً عن نفسه
لغة يشتتها الضباب ويجمعهُ
لغة يحاصرها السكوتْ
تجترّ معجمها
وتصنع من قبور حروفها قمراً يموتْ...



في نشوى النجوم



خليل حمام*

ألغي النجوم فها عيونك قد بدت

ألغي السكون فها فضاءك جسدت

قولي برمش العين يا سلطانتي

ما زينت دون السماء ولا ارتدت

سحب الفنون بحارها أو أدركت

بعدي إليها ينطوي فيه الأبد

ها قد رنت سفني على شط الحنان

وأفرغت مؤتى الزبد..

ما أن رست

أو مارست حبي العيون وقدّست

---

* طالب جامعي

عين الغزالة واقتدت

سبل الوصول إلى تشابيه الجسد

يا ظبية..

غزّالة الآفاق تلقي ضوئها

كِبْرا لتصطاد الرصدْ

مسد السهاد قد انقضى وحيا وغردت الصُعد

جسدي الحري زمانه

لا, ليس يفنى ما صعد

لكرعشة الجنس المثير ضميره

يبدي الوفاق متى اعتقد

وقد اتقدتُ كجلنار نجومها

ما أزهرت مكمونها وتفتحت

وقد اعتقدت بانصهار تخومها

ذاب الوجوم كما تفردت المرد

ألغي الكروم فها ثمارك قد سقت

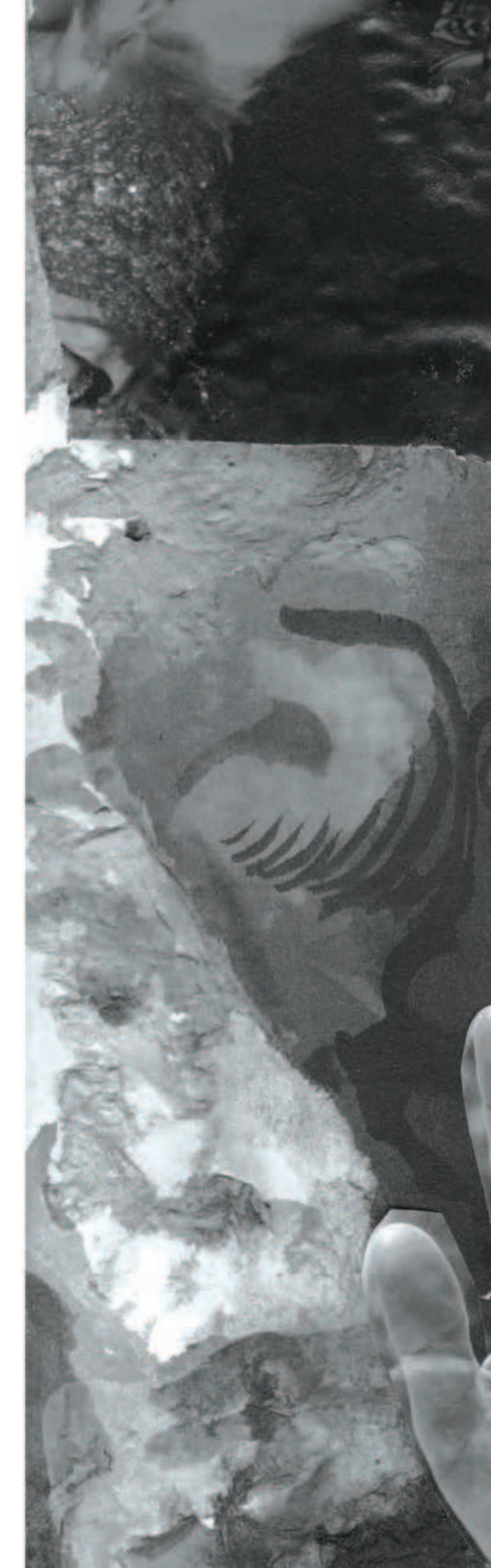
بنبيذها مجنونها حتى رعد

لم يبق في فيء سكون أواره

وأتى يطل فضاءه حين ابترد

وتوسع الرفق البصير بعوده

مزمار نشوته الصدى في وردة السبق المعد



شاميّات (قصائد)



عبد الله أبو شميس

(I)

يبدأُ اليومَ مبتهجاً

مثلَ عادتِهِ منذ ألْفٍ مَضَيْنَ

فيفتحُ قبرَهُ

للطّيورِ الكفيفةِ

تغدو إليهِ خِماصاً

على ساقِ سنبلةٍ تتعكّزُ

(تلكَ وظيفتُهُ البرزخيّةُ)

يُطعمُ طيْرَهْ
ما تيسّرَ من حنطةٍ في المَزارِ
ويَسقيهِ من حَدَقاتِ الجرارِ
إلى أنْ تشعشعَ فيه المسرّةْ
منذ ألفٍ
يواصلُ أشغالَهُ البرزخيّةَ
مبتهجاً
بعد أنْ خلعتْ روحُهُ سجنَها
قطعةً
قطعةً
قطعةً
وأفاضتْ إلى القبرِ حُرّةْ
كانَ يُنشدُ أطيارَهُ
في الحديقةِ. أشعارَهُ
عندما اصطادَ قنّاصةُ الموتِ
أعمى المَعَرّةْ..

(II)

دمُ الثّوّار تعرفُهُ فرنسا
فما بالُ القريبِ
بهِ يشُكُّ؟
وللحريّة الحمراء بابٌ
بكلّ يدٍ مضرّجةٍ
يُدكُّ!

(III)

لم يكن كامرئ القيسِ
يدرجُ في (أَذْرُعاتٍ)
يرصدُ الليلَ عن قبسٍ في الجهاتِ
ويشتمُّ ما تحملُ الرّيحُ من نَفَسٍ
لقطاةٍ
يُغافلُ حُرّاسَها..
ثمّ ينقضُّ كالنّسرِ من فوقِها
يمسحُ اللحمَ والعظمَ عنها
ويرمي إلى وكرِهِ قلبَها
حيث أفئدةُ الطّيرِ منتثراتٌ
يوابسَ أو رطِباتِ
لم يكن كامرئ القيسِ
يحتاجُ ناراً ليبصرَ قلبَ الفتاةِ وقد صارَ دَمعا
فلقد أصبحت (أذرعاتُ) القديمةُ - دَرعا

الثلاثونَ نافتْ



محمد الدحيات *

أين يُمكِنُ أن تذهبَ الآن
قد بَرَقتْ في سماكَ الثلاثون
يا صاحبي
لم يعدْ قلبُك المتفأْد بالنار يذوي
ولا روحُكَ المتعرِّش بالياسمين يضوع
كطيرٍ شرود تحاولُ أن تتآلفَ
بالشدوِ مع ضجّةِ الغاب حين
تَفحُّ الأفاعي..

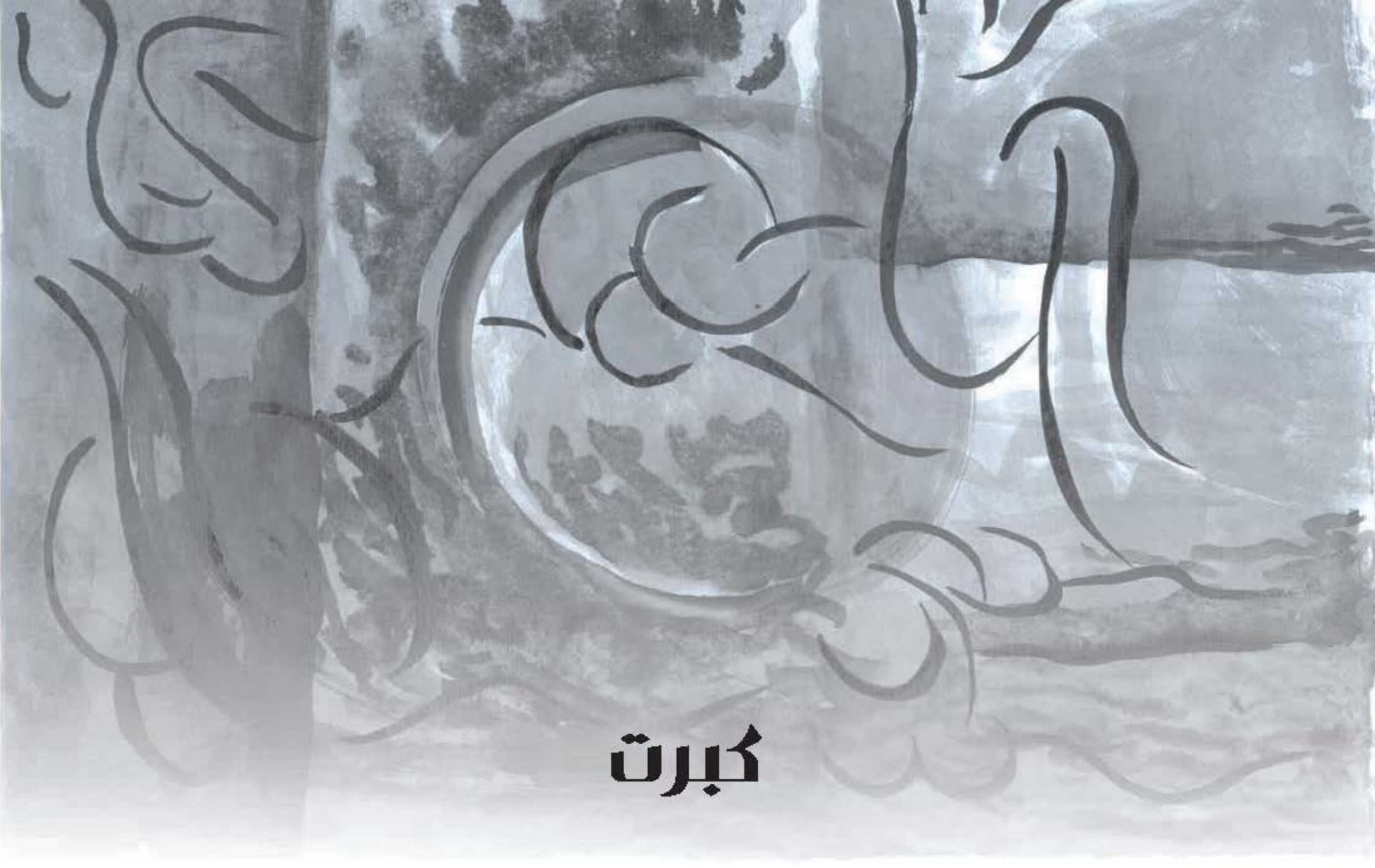
* شاعر أردني

كذلك ينكسر النهر في خَلَلٍ
لم يُشذّبْهُ مجرى المياه
لتُسْلِمَ للطرقات غداً ناقصاً منكَ
أو من ملامح وجهِكَ. ممتقعَ اللونِ
حين رأتكَ الصديقةُ واستنكرتْه

إلى أين يُمكِنُ أن تذهَبَ الآنَ
تنزعُ منكَ الطريقُ سلامَك
تجذبُ حيرةَ قلبِكَ من يَدِها.
تتشعّبُ..
كلُّ الدروبِ تدورُ وتقعو على نفسِها.
لا الجميلاتُ يعرفنَ نقطةَ ضعفِك
حتى يلجنَ إليها
ولا أنت تهدي الفراشةَ كي تستدلَّ
على زلّةٍ في القصيدة تُفضي
لفحوى الكناية والاستعارة في لسعة النحل
تلك التي ضاع موضعها منك
لولا برودُ الثلاثين يبعثها من جديد

الثلاثونَ نافتْ على مضَضٍ منكَ
ليس بوسعكَ أن لا تكونَ صديقاً لها
ولنفسِكَ..
هذي التي منذ أن بَرَقتْ في سماك الثلاثونَ
رحتَ تروّضُها بالغناء البطيء

على عقرب النبضِ
يمضي ويمضي
ولا يتوقّفُ إلا لدى النوبة العاطفية
إذ تستعيرُ القصيدةُ
شكلَ جهازِ تنفّسِكِ الاصطناعي..
وتمضي القصيدةُ.. تمضي القصيدة
لكنْ إلى أينَ
- تمضي إلى الظلِّ/
ظلُّ القصيدةِ ما يترشّحُ من فِكَرٍ عندَ قارئها.
ووحدَهُمُ النائمونَ هُم القادرونَ على أن يُعيدوا
صياغتَها
مثلما يفعلون بأحلامهم غالباً.



كبرت

مروان البطوش*

كـــبـــرتُ ...
برغم التيتُّم
رغم التوحد والإنزواء...

ثقبتُ الزوايا بصمتي
وكالبرق من لثغتي في الكلام
نفذتُ...
كبرت
برغم حنان الظلام
وظلم السماءُ...

كوهم الضباب شريط دموعي الطويلُ يمر أمامي

هنا طفلة ترسم الظل فوق يديها
أظل أبيها تُراهُ؟!
أظل أبيها الذي رسمته بلا ريشة أو دواة كتلك
التي مع رفيقتها، هل تُراهُ؟!
تشك هي الآن فيهِ
وتلمحُ طيفا قريبا
غريبا
ترى هل تَراه؟! !!
هي الآن تشعر بالكف تمسح حزن ضفيرتها
من بعيدٍ
وأشعر أيضا أنا

---

* طالب جامعي

يـــــــــا لطيفكِ أمي !!
لماذا هو الآن يعبر في ذكرياتي؟!
أنا لم أعشْ فيك إلا بمحض خيالي
لماذا تشكلتِ حقا قواما
رشيقا رقيقا وجئتِ
وهل قد تبقى من الموت موتُ؟

أنا لن يكون مكوثي لديك طويلا
فقد علمتني الحياة
وقد متُّ فيك زمانا
بألاّ أموت بغير الحقيقةِ
غيبي
وعودي إلى المستحيل
ولا تعبئي بي
فإني
كبرتُ...
برغم التيتم
رغم التوحد والإنزواء...

ثقبت الزوايا بصمتي
وكالبرق من لثغتي في الكلام
نفذتُ...

برغم حنان الظلام
وظلم السماء...
كبرت...
ندوب الفجيعة هذي بكف فؤاديَ
لن تستبيح صمودي بوجهي
سأغمض عيني
حتى أراها كأوسمة فوق صدري
تعين أناي علي
فلا بد للعيش أن يستمر بنا أو بلانا

ولا بد للموت
إن باغت الشفتين
وهدد بالصمت من إبتسامة...
فكوني ندوب السلام
وكوني هديل الحمامة!

ولا أتذكر ليلة كنت هنالك
أقبع في غرفة للغبار أقيمت
ومن قال كنت هنالك أصلا؟!
فلا أتذكر كيف صرخت هناك من البرد جوعا!!
ومن قال أصلا بأني
صرخت؟

ولا أتذكر كيف انكببت على وجهي المقشعر
أفتش عن دمية لأجرب معنى الحنان
ومعنى الأمان
ومعنى الأمومة معنى الأبوة معنى الطفولة..
كفوا !
وكفوا جمعيا !
ومن قال أصلا بأني انكببتُ؟

أنا لست إلا وليدةَ هذا النهار
ولا أتذكرُ إلا غدي ...
ولا.. لن أصافح إلا يدي!..
فإني:
برغم التيتم
رغم التوحد والإنزواء...
ورغم حنان الظلام
وظلم السماء...

كبرتُ...
كبرتُ!!



نسرين

وردة الكتوت*

يعاتبني فلا ألقى عذابا
كأنّ فصاحتي كانت سرابا
كأن العُتب في لقياه غابا
"ترفّق صاح إن القلب ذابا
تعذّبه فلا يلقى عذابا"
ملامك سكّرٌ أو بنت كرمٍ
فزدني نشوة زدني بلومٍ
ألذّ بسمعه يأتي بضيمٍ

"تلقّنه الصدود بكلّ يومٍ
فيروي عنك وصلا واقترابا"
حنانك.. لا بنا لكن بقلبٍ
يخبئ فيه حبا أيّ حبٍّ
تفرّد حسنُه من كلّ صوبٍ
"ويجعل من حرابك سهم حبٍّ
وتجعل من محبته حرابا"
يحيف الحب؛ ما أبقى سُلامى

* شـاعـرة أردنية

بجسمي بعد لم يتق السلاما
وألقى فيك سكناه وناما
"كأني جنة ساءت مقاما
وأنت النار قد حسنت مآبا"
وأنت الياسمين إذا تهامى
وأنت الليل يعبق بالخزامى
فلما فرّق الصبح الندامى
"جفوتَ فلم أزد إلا هُياما
وصنتُ فلم تزد إلا ارتيابا"
يمرّ اليوم أعواماً طوالا
يقلّبك الهوى حالا فحالا
فيثبت لي الأسى ولك الدّلالا
"فسبحان الذي أرسى جبالا
وحرّك فوق هامتها سحابا"
وطيفٍ كالسّنا يأتي ببالي
توشّى بالملاحة والدّلالِ
فأشكوه إليه غداةَ حالي
"كقافيةٍ تلحّ على خيالي
أطاردها كمن تبع السرابا"
وتجفوني كما يجفو أنايا
أؤمّل أن تجيء شذى ونايا
فتجعل من أمانينا منايا
"بذلتُ لها المطارف والحشايا
تقرُّ بها، فتضطرب اضطرابا"

"جون"
حسن البياض إذا التقى بسوادِ
ملكت صبابته صميم فؤادي
وترنّمت يا دلّها بوجيبهِ
حُقّ الدّلال لها وحُقّ سهادي
أبغي الدّجى والليل أرخى ستره
وهنا كشعري والدّموع مدادي
لأخطّ في جنح الظّلام مواجعاً
وأبثّ وجداً إذ أضمّ وسادي
وعلى جبين الماء أكتب سرّنا
وعلى النسيم.. على التراب الصادي
أخفي هواك تكتّماً وتستّراً
ومخافة العذّال والحسادِ
حتى إذا كنّا وثانينا الهوى
وعليّ لليل الجُنّ أيادي
أصغي لشعرك والحنين يلفّه
وخبيء صدرك في عيونك بادي
وندى السّرور يبلّ جفني وامقاً
والسّعد سعدي والوداد ودادي
فأقول يا رباه ليلاً سرمداً
لا صبح بين ذاك كل مرادي



حلم قُدسي...

إبراهيم العدرة *

اختلطت الألوان بعبق الأصالة وتداخلت أطيافها مع هبات نسائم الريح، الشمس انسدَلتْ باستحياء لتحتضن أطراف الدنيا، أصبح الأثيرُ أهزوجةً من الفرح المزركش بأمل الإشراق وألم الفراق،احتضنته الهالة بشغف، يسير في غمار الأقواس والزوايا والتكايا، علَتْ أصوات المساجد بالتكبير وتبعها رنين أجراس الكنائس، امتزجت النغمات مع بعضها وتكاملت فوق سمعو، رفع بصرهُ عالياً محدقاً في كل الجوانب، مستحضراً ماضياً عبر

* قاص أردني

وقادما جديداً، جحظتْ عيناهُ طويلاً يحاول الاقتراب متهادياً في مشيه، بطيئاً في خطوه، يرفع عنقه مع كل قفزة، يطأ الثرى الأحمر بمهابة كأنهُ يُقبل بقدمه الحجارة والأدراج، لمعتْ لهُ القبة الصفراء من بعيد، تلألأتْ بلونها المذهب، اتسعتْ أحداقهُ محاولاً العدو ليحتضنها فوق عنان السماء، يتخطف الرقاب بلمح البصر...

تمنى لو أن لهُ جناحين يحملانه عالياً ليرى مدينته من أعلى الفضاء، أقدامهُ الصغيرة ألجمت أنفاسهُ المتقطعة، حاول الركض، أتعبهُ قلبهُ الخفاق، سقط على الأرض غائباً، استيقظ فجأة، فرّ من نومه كطائرٍ يريد التحرر من قفصه، صرخ بصوته الأجش مجيباً:

- أنا قادم.. قادم.. قادم..

فزعتْ زوجته، قامت مذعورةً... سألته بلهفة:

- كان حلماً ؟!!

رد مستذكراً بثقة:

- كان حقيقة..

قام مسرعاً، متعجلاً يتأهب للمغادرة مع استغراب زوجته، سألته بخوف:

- ستغادر؟!!

رد بتصميم وقوة:

- سأعود..

- لم تعد شاباً لتقاوم كما كنت!..

- سأرجع طفلاً وأتحرر من جديد.. مكاني هناك تحت أوراق شجرة التين، وظل جدار الزاوية وباحة الماء والساحة الرحبة.. مكاني هناك، حيث بقيت.. حيث أنا..

اعتمر كوفيتهُ المرقطة والملوحة بغبار أيامه، لفّها حول رأسه وتناول حبلهُ الغليظ المدبب برأسٍ حديدي... نظرتْ إليه زوجته بعيونٍ وديعة وبادلها النظر، تعاهدا على اللقاء بصمت ومضى... اغتدى مع الفجر الباكر كابحاً جماح شيخوخته وهَرمه، يناديه الحنين ويتلحفهُ الأمل القديم... يشمّ في أعماقه رائحة البخور، وتلذذ طعم عذوبة الماء، يتنغم مع صوت التهليل والتكبير، يتمايل مع رنين دقات العتابا والجوز واليرغول، يناجي زفير البركة وحفيف القداسة في كل مكان..

وصل منهكاً، ليجد جدار العزل ما زال قائماً يفصلهُ عن درته المكنونة، جاثماً كقلعةٍ رعناء صماء، موصدة الأبواب... انتظرَ هذه اللحظة منذ سنين طويلة وقد حانت، قَعَدَ مقرفصاً من الإجهاد والتعب، لاحتْ في ذاكرته صورةُ جده، يحرق مع دخان غليونه الطويل وحشة الزمان الغابر وألم لحظات الصبر والتشرد، داعبَ شعرةُ الأسود الناعم وحملهُ على كتفه وقربهُ من المنبر صلى معهُ الجمعة في الأقصى... كلما

خفضَ رأسهُ ورفعهُ للركوع أزاغ عينيه مختلساً النظر إلى زخارف الفسيفساء والمرمر بجمال ألوانها وتناسق تفصيلاتها. وفي طريق العودة سألهُ مراراً عن سرّ البناء وسحر الألوان. أجابهُ بجملته الشهيرة:

-نحن صممنا.. نحن بنينا.. إنها مركز الأرض، وكُنهَ وجودها يا بني..

داهمهُ السكوت مفكراً والكلماتُ تقرع أذنيه، فرحاً بشموخ المكان ورائحة من مرّوا إلى السماء... كما يغزوهُ الصمتُ الآن. حزيناً للدنس الذي فَجَع الأوكار واغتصب الديار. كفيفاً من السواد الذي اجتاح الأصيل ومزق تناسقهُ الرخيم، مقهوراً للوحل الذي لطخ الجوهر. تأوه لحظاتٍ طويلة ثم قام مترجلاً متأهباً. لفّ كوفيته بإحكام. شحذ قوتهُ الخائرة وبدأ تسلق الجدار.خطتْ أقدامهُ قليلاً يَصعَدُ عالياً. لم يستطع التماسك فوقع. قام وشرع في محاولةً جديدة. وقع بشدة... ارتاح برهةً ثم حاول مرةً أخرى. وأخرى وفي كل جولة كان يهوي أرضاً كدمية شريطية مفككة الأطراف. أدمتهُ وعورة الجدار وصلابة الإسمنت... سقط متألماً. افترش الأرض ناظراً إلى زرقة السماء. أشرقتْ أنوار القبة في أحداقه. رآها بوضوح كاتساع الكون الفسيح. طارَ وحلق حائماً حولها. وقف على بقايا السور وناجى حائط البراق..

عاد لوعيه. باغتهُ عجزهُ وقلة حيلته. تلمس بأطراف أصابعه كتفه الخشن من آثار الرصاص العتيق. تحسسَ عدد القطب المحفورة. غافلتهُ نفسه. اعتصرت مآقيه بالدموع. بلّل خدّيه مستذكراً عنفوان شبابه وفتوته. استيقظ مع خياله القديم يجوب الأزقة والساحات والأضرحة. يقرع الأبواب ويدور حول المنابر والأروقة ثم يستلقي تحت عريش بيته، سمع صدى ضحكاته يترددُ في أرجاء الأماكن ويتغلغلُ في طي وجدانها. طافتْ روحهُ مع أرواح الصالحين والخالدين والأنبياء والشهداء. بكى بحرقة..

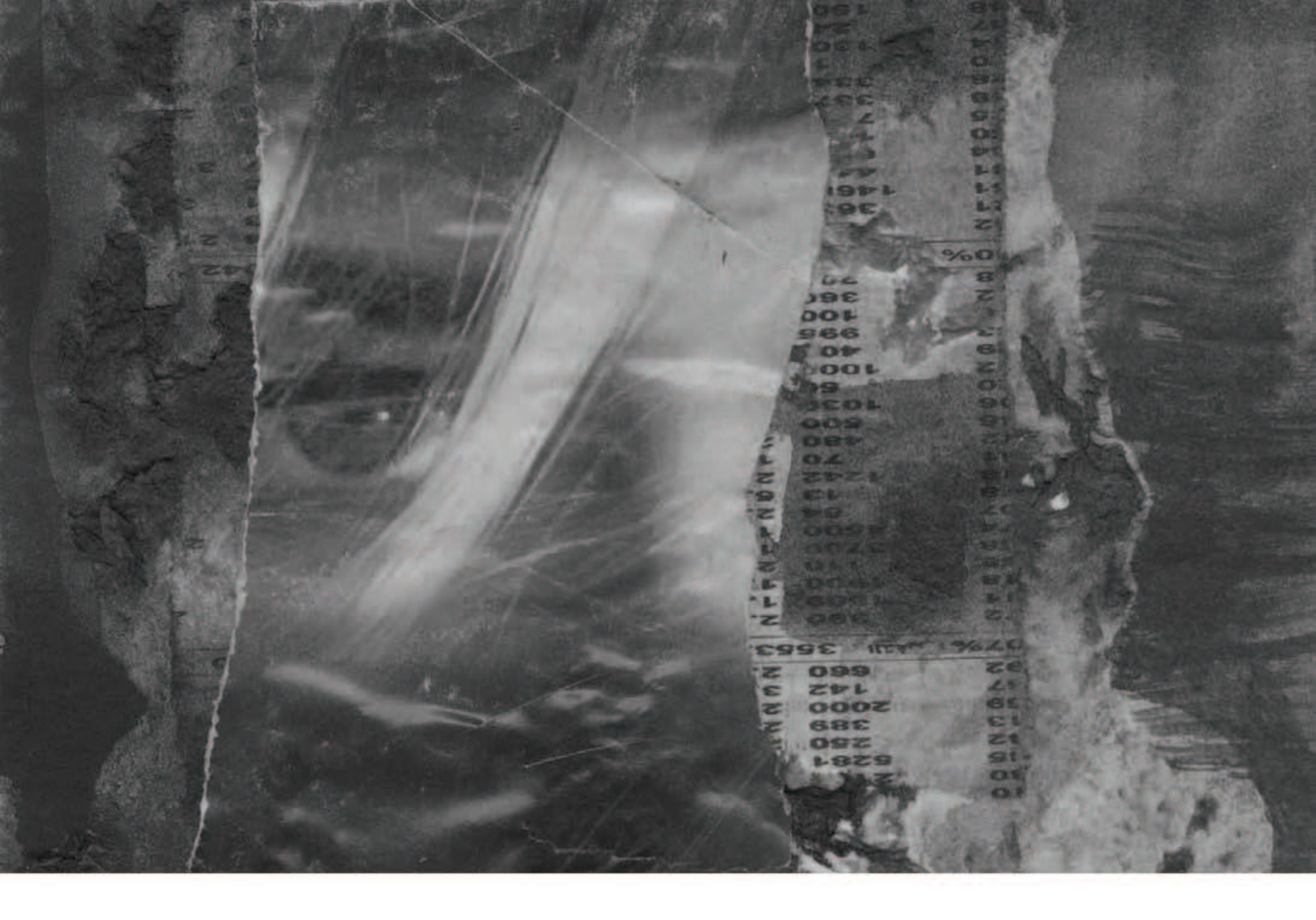
شدّ عزائمهُ وقام من جديد غير آبهٍ بآلامه وجراحه. في كل مرة بدأ يتقدم خطوة في قطع المسافة الشاهقة... لمحهُ الجنديّان من أعلى برج المستوطنة وهو في شغله الدؤوب.نظرَ كل منهما إلى الآخر وضحكا بشدة. قال أحدهما:

-أُنظر إلى العجوز الخَرِف. إنه يتحدى الجدار..

رد الثاني مستخفاً بهِ أكثر:

-ستهزمهُ صلابته كجرذ رفع رأسه من قن التراب. لا تبالي به.. لن يستطيع العبور..

-مازال لا يكفُ عن المحاولة..



-إنه فأر يدور حول المصيدة.. دعهُ يصارع موته..

استمر الاثنان بمراقبته من بعيد، ساخرين لاهيين وهو يجاهد الوصول. تلاشتْ ملامحهُ من كثرة الدماء والعرق والجراح. قلبهُ النابض أشعل نيران ثورته من جديد. وفي النهاية انهارَ مصعوقاً متلوياً حول نفسه. تمنى لو أن معه عصا الزانة ليرمي بنفسه إلى الضفة الأخرى..

سافرَ طويلاً وهو يفكر ملياً في اختراق السور القابع على قلبه. أحس أن المآذن تناديه وقد حان وقت الصلاة... قام مكبراً. رمى الحبل بقوة إلى الجهة الأخرى. عاد الرأس الحديدي فشج رأسه. ضحك الجنديان بصخب. زاد جَلَدَهُ ورمى الحبل مراراً مع استمرار تكبيره ودعائه. بعد حرب ضروس مسك الرأس في الجهة المقابلة. شدهُ إليه. أخذَ نفساً عميقاً ثم بدأ الصعود إلى الحبل خطوة بعد خطوة. أحس الجنديان

بالريبة ونظر كل منهما إلى الآخر. واصل التقدم بنجاح وهو يتأرجح يميناً ويساراً. أمسكَ أحدهما البندقية ووضع الرصاصة. تقدم أكثر. جهّز بيت النار للإطلاق... لم يبقَ بينه وبين القمة إلا أمتاراً قليلة. توقف متعباً. رحل ملهوفاً بذاكرته إلى رفاقه في ميدان الغضب وخلجات النصر. يخبرهم سطراً جديداً في سجل نضاله الحافل. اختلطت سعادته بحزنه. كابد آلامه وجراحه المثخنة. خارت قواهُ وبدأت بالضياع. تراقصت أقدامه وكاد أن يسقط..

شهقَ أنفاسهُ وشحن طاقته. تلفتُ حولهُ رأى الجنديان يراقبانه عن البرج. هدأت سريرتهُ. ابتسم منتشياً. استشاط الجنديان غضباً. غمرتهُ الطمأنينة أكثر. تأملهما بحدة. فجأة جاءتهُ قوةٌ مفاجئة. قفز بجسده ووثب إلى القمة. وصل منتصراً. انتصب فوقها كنسر عنيد يريد الانقضاض على فريسته وهي تختبئ في عمق الأرض. نظرَ بطرف عينيه إليهما وضحك ساخراً. وصل الجندي حد الجنون. أمسكَ الزناد وأطلق الرصاصة..

اخترقتْ الرصاصةُ أحشاءهُ واستقرت في قلبه. ترنّح راقصاً فرحاً. سمع صوت المآذن المقدسة تناديه أكثر. تجمدت عيونه وانسلت بصيرتهُ مسافرةً حيث يريد. وصلَ باب العمود ودخل المدينة المقدسة فاتحاً. استقبلهُ أهلها بعروق الزيتون وورود الفل. زغردت النساء وهتف الرجال. صلى في الأقصى وزار مسجد عمر. ذهب إلى القبة وعانقها. ولج بيته وزوجته في انتظاره فتية يانعة. جلس أخيراً تحت الشجرة وظل الزاوية. لفّ حول الساحة وعبّ من مائها حتى الثمالة. ثم نام بهناء..

ارتعش جسدهُ ودماء الرصاصة تسيل منه كبركان. تراشقت على الجدار كشلالٍ هادر.امتلأ الكون باللون الأحمر... ظلّ الجندي منكساً رأسه مغلولاً من شموخ صموده. سبحتْ جثتهُ محمولةً. تداعبُ الفضاء كريشةٍ مفعمة بالنور وعادت إلى الضفة الأخرى. احتضنها الثرى بفخارٍ وعزة. غاص بها مبتعداً... ثم اختفتْ..

بعد سنوات عديدة. شُوهد يصلي إمامًا مع رفاقه تحت القبة. في الزاوية التي أحبها. وقد خلتْ المدينة من كل دنسٍ أصابها... هللَ فرحاً مستبشراً قائلاً للجميع:

-الحمد لله.. لقد عدتُ.. ستعود...



ربيعٌ بلا انتهاء

تقى المومني*

عندما يتناثرُ ضوءُ القمرِ أبيضَ بلمعانٍ فضيٍّ صافٍ على وجهِ طفلةٍ جالسةٍ بسريرها قربَ نافذةِ غرفتها المطلةِ على شاطئ البحر يظهرُ جمالُ طفولتها البريئةِ ...

اكتمالُ القمرِ في تلكَ الليلةِ شدَّها لتسأله أن يحكي لها قصةً ......

- ومن أخبركِ أنني أحكي القصصَ؟! سألها مبتسماً مستغرباً من سؤالها الطفوليّ.

- أمي أخبرتني أنّكَ عندما تكتملُ وتصبحُ بدراً

* طالبة مدرسة

يصبحُ بإمكانِ الأطفالِ سماعك وأنتَ تحدثهم بقصصِكَ... قالت الطفلةُ.
ضَحِكَ، ثُمَّ أخبرها بأنَّهُ سيحدثها بقصةٍ أحداثها مازالت تجري للآن.
- أحقاً أحداثها تجري الآن؟ ... سألت الطفلةُ القمرَ.
- نعم، ولكنَّ الأشخاصَ الذينَ تجري معهم هذه الأحداثُ بعيدون جداً عنَّا؛ إنَّهم يعيشونَ في "مجموعةٍ نجميةٍ" أخرى.
حدَّقت الطفلةُ في القمرِ مُطَوَّلاً قبلَ أن تسأل:- أتقصدُ "مجموعة شمسية" أخرى؟
- لا؛ فالنجمُ الذي تدورُ حولهُ الأرضُ والكواكبُ التي حولها أسماه البشرُ (شمس)؛ ولكنَّ سكانَ الكوكبِ الذي سأحدِّثُكِ عنه أسموا نجمهم (رحب)، والذي سميت مجموعتهم فيما بعدُ باسمه، وكما هو اسم كوكبكِ الأرض، فقد أسموا كوكبهم (مَيْل).
على هذا الكوكبِ الجميلِ عاشَ أشخاصٌ عاديون؛ عاديونَ جداً ..... في أكلهم، وفي نومهم، وفي طريقةِ تربيتهم لأولادهم.
حدَّقت الطفلةُ في القمرِ وسألتهُ :- هل هم مختلفون عنَّا بأشكالهم؟
ضَحِكَ القمرُ ضحكةً قصيرةً قبلَ أن يجيبها:- بالنسبةِ لهم ربما أنتم المختلفون بأشكالكم عنهم! ولكنَّكم بشكلٍ عامٍ تتشابهونَ معهم بعضَ الشيء.
توقفَ عن الكلامِ قليلاً، ثمَّ تابع:- موقعُ كوكبهم له دورٌ في أن يكونَ لديهم خمسةُ فصولٍ في السنة؛ الصيفُ، والخريفُ، والشتاءُ، والربيعُ، وأمَّا الفصلُ الخامسُ غير الموجودِ على كوكبكم وهو الأطولُ مُدَّةً مقارنةً بباقي الفصول الأخرى اسمه فصلُ الضباب.
يُعتبرُ فصل الضبابِ هذا أهمَّ فصلٍ لتكاثرِ الحيواناتِ ونموِّ النباتاتِ عندهم؛ ونتيجة لما يترتب على ذلك من ازدهار في الإنتاج؛ فقد نشطت التجارةُ وتبادلُ البضائع.... فطالما كانَ الضبابُ رمزاً للتفاؤلِ عندهم! كوكبهم ككوكبكم تقريباً؛ فيهِ القاراتُ والمحيطاتُ... مقسماً لدولٍ، يقوم على إدارةِ شؤونِ كلِّ دولة منها حاكم.
أتى وقتٌ قامت فيهِ نزاعاتٌ بينَ بعضٍ من هذهِ الدول، كما نادى أناسٌ بالسلام؛ فتصرفوا مثلما تتصرفونَ أنتم في مثلِ هذه المواقف... ولكنَّ هذا لم يحصل قبلاً على هذا الكوكب؛ فطالما عاشوا بسلامٍ و حبٍّ منذُ الأزل!
وفي أحدِ الأيامِ ازدادت صراعاتهم، وازدادَ كرههم لبعضهم، حتى أنَّهم منعوا تبادلَ البضائع فيما بينهم؛ فتدخلت دولٌ شقيقةٌ مجاورةٌ لكُلٍّ من الدولِ المتحاربةِ؛ حيثُ حاولت جاهدةً مصالحتها.

قاطعتهُ الطفلة :- ومن أخبركَ بهذا كُلّهِ؟

تأففَ القمرُ وأظهرَ لها ضيقه لمقاطعتها له. ثُمَّ أجابَ بصوتٍ جافٍّ خالٍ من الحيويةِ :- صديقي قمرُ (الميّل).

شعرَ القمرُ بأنَّهُ أخطأ بحقِّ الطفلةِ عندما غضب منها وردَّ عليها بتلك الطريقة؛ فقالَ ملاطفاً بعدما رأى ابتسامتها الطفولية قد تلاشت :

- أنا أحدِّثُ صديقي قمر (الميل) عنكم. وهو بدورهِ يحدثني عنهم.

لم يتابع حديثهُ إلا عندما رأى البسمةَ تعود لشفتي الطفلةِ الصغيرتين. وعندها فقط تابعَ:- ورغمَ تدخل الدولِ الأخرى لحلِّ النزاعات إلا أنها لم تفلح في ذلك ولم يجدِ تدخلها نفعاً.

غضِبَ فصلُ الضبابِ منهم وأقسمَ على الرحيل عنهم وعدمِ العودةِ إلا بعودةِ التصالحِ والسلامِ كما كانا دائماً.

أصرَّت الدولُ المتحاربةُ على حروبها. كما أنَّ الدولَ التي حاولت حَلَّ النزاعِ قبلاً دخلت هي أيضا في حروبٍ انتقاماً من فصلِ الضبابِ الذي قررَ الرحيلَ عنهم. دون أن يعلموا خطورة ما أقدموا عليهِ...

بعد مدةٍ قصيرةٍ رحلت باقي الفصولِ إلا فصلُ الربيع؛ المعروفِ بعاطفتهِ وأحاسيسهِ الرقيقة. فلم يجرؤ على تركهم بلا فصلٍ خوفاً عليهم من الهلاكِ.

أمّا هم فقد ازدادَ حقدهم وكرههم لبعضهم. ولامَ كُلٌّ منهم الآخر. حتى الذينَ كانوا ينادونَ بالسلامِ أصبحوا يقفونَ في وجوهِ بعضهم. ويلقونَ باللوم على من حولهم...

استمرَّ هذا الوضعُ وقتاً طويلاً. أدركوا بعده شيئاً فشيئاً سوء ما عملوا. وحاولوا العودة كما كانوا سابقاً. واجهتهم التحديات وأصيبَ بعضهم باليأسِ. ولكنَّ أغلبهم بقيَ متحمساً لفكرةِ العودةِ للسلامِ كما كانوا دائماً.

عيّنوا لكُلِّ شأنٍ في الحياةِ مسؤولاً؛ للغذاء مسؤولاً. و للتعليمِ مسؤولاً. و للتجارةِ مسؤولاً ... و بذلكَ أزالوا الحدودَ بينهم و أبقوا فقط على أسماءِ الدولِ كمواقعَ لا أكثر؛ بتعينهم مسؤولاً عن كُلِّ شأنٍ في حياتهم لم يعودوا بحاجةٍ لحاكمٍ لكُلِّ دولةٍ. التي في الأصلِ لم تعد مستقلةً بحدِّ ذاتها!

صاروا ينامونَ دون أن يكلّفوا أنفسهم عناءَ إغلاقِ أبوابِ منازلهم؛ فمنذ الآن قد عاد الأمن والسلام. ولن يسمحَ أحدٌ لنفسهِ بسرقةِ منزلِ أخيه. ولِمَ يسرقُ وما من داعٍ لذلك؟ ! فأوضاعهم المادية على الكوكبِ بأكملهِ ميسورة وشبهُ

متقاربةٍ. حتى الذينَ عيّنوا ليكونوا مسؤولين . أوضاعهم ومستوياتهم المادية تتساوى مع وضعِ أيِّ شخصٍ آخرَ في الكوكب!

لم يكن هنالكَ مسؤولٌ عن كُلِّ هؤلاءِ المسؤولين: فقد عَلِمَ كُلُّ واحدٍ منهم أنَّ عليهِ أن يكونَ مسؤولاً عن نفسه قبلَ أن يكونَ مسؤولاً عن الشأنِ الذي عُيِّنَ ليكونَ مسؤولاً عنه.

مرت أيام وشهور انتظروا فيها عودةَ فصل الضبابِ وباقي الفصول. ولكنَّهم لم يعودوا: حزنوا لذلك... أخبرهم الضبابُ أنَّه سيعودُ إذا عادوا لسلامهم وحبهم لبعضهم. وها هم قد عادوا لما كانوا عليه إلا أنَّه لم يعد... هل عادوا فعلاً !؟ ... لا: إنهم لم يعودوا كما كانوا متحابين متآخين: وإنمّا أصبحوا أفضل حالاً مما كانوا عليهِ سابقاً... لم يجرؤ أحدهم من قبلُ على النومِ و أبوابُ بيتهِ مفتوحة. لكنهم الآن آمنون ويحبونَ بعضهم أكثرَ من قبل.

لو أنَّ باقي الفصولِ موجودةٌ الآن لحلَّ فصل الشتاءِ. أرادَ فصلُ الربيعِ أن يفعلَ شيئاً مميزاً لهؤلاء الأشخاص. فقامَ بترتيبِ أموره ليصبحَ فصلاً مستمراً على مدارِ السنة: فأبرقَ وأرعدَ وأمطرَ تعبيراً عن فرحته بهم!

تنهد القمر والتفتَ للطفلةِ وسألها:- ما رأيكِ بالقصةِ؟

... لم تجب: فقد كانت تغرق في نوم عميق يزخَرُ بالأحلام. وقد ارتسمت على فمها ابتسامة هادئة .



رذاذ


حليمة الدرباشي*

(١)

قمرخائف هارب من انبلاج الصبح، وانبعاث الناس، هي تعد نفسها بإتقانٍ يتناسب وطبيعة عملها الذي يحتاج للكثير من الأقنعة، تخرج مسرعة كي لا تفوّت فرصة وداع القمر، تعتلي كرسياً لا يعرفها في حافلة اعتادت الطريق ذاته وكأنها لم تمله بعد، تغط في بئر أفكارها المبعثرة، حتى أنها لم تعد ترى ملامح الطريق، تقف حافلتها بجوار حافلة تشبهها إلى حد كبير، يوازيها شخصٌ سارحٌ تتلاقى نظراتهما فيرتبكان، كأنها تخجل أن ترى نفسها في شخص آخر وتسأل نفسها: أكنت أبدو على هذه الهيئة من التيه؟! تحملق

* قاصة أردنية

فيه أكثر.. هو يبتسم لها، هي تبحث عن وجه الشبه، هو يجرؤ على الإطالة في النظر أكثر، هي تبعثر نظراتها هناك وهناك، هو تتسع ابتسامته، هي يهتز مقعدها إيذاناً ببدء حركة الحافلة، هو يبتعد، هي تنتبه إلى أنه قد كان موجوداً، هو يسكن في الأفق، هي تجبر نفسها على العودة للأرض، لترى أن الحافلة ماضية دون توقف بعيداً عن الموقف...

(٢)

مهمتها أن تجبر دمه المتدفق على التخثر، والتوقف عن النزف، ذلك الملقى على جراحه، كي تستطيع أن تتركه بأمان لتسعف غيره من الجرحى في ميدان التحرير، قضت عمراً جميلاً في صحبة رائقة.. لكن صاحبها بدأ يعاني من أمراض القلب الناجمة عن تراكم الوعود والبرامج الإصلاحية وجداول أعمال المؤتمرات المزركشة بشعارات ملّتها وملّها هو أيضا وملّتها الشعوب كذلك، لكنها معه عليها أن تجبر دمه على التدفق كي يستطيع التنفس على الأقل، وكي تستطيع تركه بضع ساعات لتلبي واجبها الوطني في الميدان، في لجة الدم والهتافات وأدوات الإسعاف يأتي صوت مخنوق لاهث يتمتم بكلمات تشبه أن دمه قد تخثر...

(٣)

رأيتها تعبث برذاذ الرمل كصغيرة أُطلق سراحها على شاطئ البحر، تلوّح بيديها يميناً ويساراً، وتعود بهما خاليتين لتغرف من كومةٍ بجوارها وتعيد الكرة، تتراقص أناملها على وقع دندناتٍ موسيقية تلائم المشهد، وتنفعل، أرى تقلبات ملامح وجهها تعبر عما يدور بخلجات مخها الصغير، وبعد برهةٍ من الزمن تتنفس بعمق كمن أنهى مهمة صعبةً أوكلت إليه، تبتعد قليلاً ليتسنى لها رؤية إنجازها، تتسع بؤرة عيني ويشتد ذهولها وهي ترى لوحة من رذاذ...

يضايقها جنين قصيدة.. يتحرك بكثرة هذه الأيام.. تمسك القلم بيمنى مرتعشة، علّها تفسح الطريق للقصيدة كي ترى النور على صفحات إحدى المجلات الثقافية، أو في إحدى أروقة جريدة أسبوعية.. ستولد الأسبوع القادم، انتظرت لكنها لم تر النور بعد، لعلّها ستولد الأسبوع القادم، انتظرت أسابيع، لم تكن قد اكتشفت بعد أنها قد علقت خارج الأبواب بسبب عطل فني في العلاقة الشخصية...

(٤)

الجو لطيف اليوم، لا داع للمروحة.. ولا حتى لكوب الشاي الأخضر البارد. سأنام بدون عناء، وبدون تحمل درجة الحرارة العالية هذا الصيف. دائماً يذكرني الصيف بفصل الشتاء. برذاذ المطر الخفيف الكثير المنعش الشهي.. بأنامله المتراخية على شباكي المغلق في وجه الدفء..

اليوم لأول مرة أحس بطعم الصيف الطري، لكنها معتمة بعض الشيء، صدى أصوات. كأنه مزيج من البكاء والارتباك وبعض الثرثرات الموحية بأن جنازة ما في الخارج !!

(٥)

أمر به كل صباح، مقعد خشبي أطرافه واضح عليها عوامل الحت والتعرية. لا يرتاده أحد بالرغم من موقعه الذي يغريك بأخذ قسط من الراحة خلال رحلتك عبر رصيف الشارع الرئيسي المفضي إلى ممرات لا تتسع لعجلات السيارة. ذات ظهيرة، في طريق العودة مررت به. جلست عليه. بدأت أتحسس تعرجات جسده البالي الرطب بفعل هطل كان قبل ساعتين تقريباً. خربشات مبعثرة توحي بتعاقب العشاق عليه منذ زمن طويل. على ظهر المقعد عبارة محفورة بأداة حادة. يبدو أنها أحدثهن وأقصرهن عمراً بالرغم من قدمها الواضح. تقول العبارة: لا رذاذ بعد اليوم !!



مذكرات يوم ماطر تماما



سلمى عويضة*

السابعة تماما:

تضطر أن تغادر السرير بعد محاولة باءت بالفشل لتوقع نهاية مناسبة لحلم يغادرها قبل نهايته تماما !

الثامنة تماما:

تشرب الفنجان بكل الرضا

فنجان القهوة الذي تطلبه "عالريحه"، يأتيها دوما "سادة" تماما !

التاسعة تماما:

دخلت غرفة الصف متحمسة جدا، كتبت على السبورة "مطر" ، لكن الطبشور كان مبتلا تماما!

العاشرة تماما:

* طالبة جامعية

على الإشارة الضوئية وقفت بسيارتها. تأملت من الواجهة الأمامية الزخات اللحوحة. تمسحها وتعود. تمسحها وتعود... لكن ليس تماما.

الحادية عشرة تماما:

التلميذ شارد الذهن خرج مع زملائه وقت الاستراحة. لم يلعب معهم. لم يضحك معهم. لم يأخذ دوره لابتياع الشطيرة المفضلة. لكنه ظل واقفا بيده وردة ليعطيها لمعلمته الشاردة تماما.

الثانية عشرة بعد منتصف الضجر:

في حصة الإنشاء طلبت من التلاميذ أن يكتبوا عن يوم جميل قضوه في العطلة الصيفية. انهمك التلاميذ في التذكر والكتابة... إلا التلميذ الشتائي شارد الذهن كانت كراسته بيضاء تماما.

الواحدة وإحدى عشرة دقيقة:

تركن السيارة على يمين الشارع وتغادر للمنزل الضئيل مشيا كي لا يبدو الطريق قريباً تماماً.

الثانية وثلاثة عشر دقيقة:

الحساء بارد تماماً.

الثالثة تماما:

الأواني مكومة بشكل مرعب على طرف "المجلى". لكن منظر الصينية ذات الفنجانين وكأس الماء الفارغ كان مرعباً تماما.

الرابعة تماما:

الشارع مبلول بالرغم أن المطر توقف تماما.

الخامسة تماما:

تبالغ في تدليل قطتها. تموء في حجرها وتهبط قرب المدفأة لتعبث في كرة الصوف وتشد خيطا ينقض الغزل تماما.

السادسة تماما:

أدمنت متابعة نشرة الأخبار الفرنسية. وكل مرة تتأكد من أن بارفان المذيع الفرنسي غير فرنسي تماما.

السابعة تماما:

لا يكف المذياع عن بث الأغنية الجميلة الوحيدة التي لا تذكر ولا بشيء واحد يذكر قد حصل تماما.

الثامنة تماما:

تتوحد مع عزلة الشرفة. وتعتذر لليل عن السهر. لأن النصف الأجمل من القمر قد غاب تماما.

التاسعة إلا دقيقة:

تمطر تماما.

العاشرة تماما:

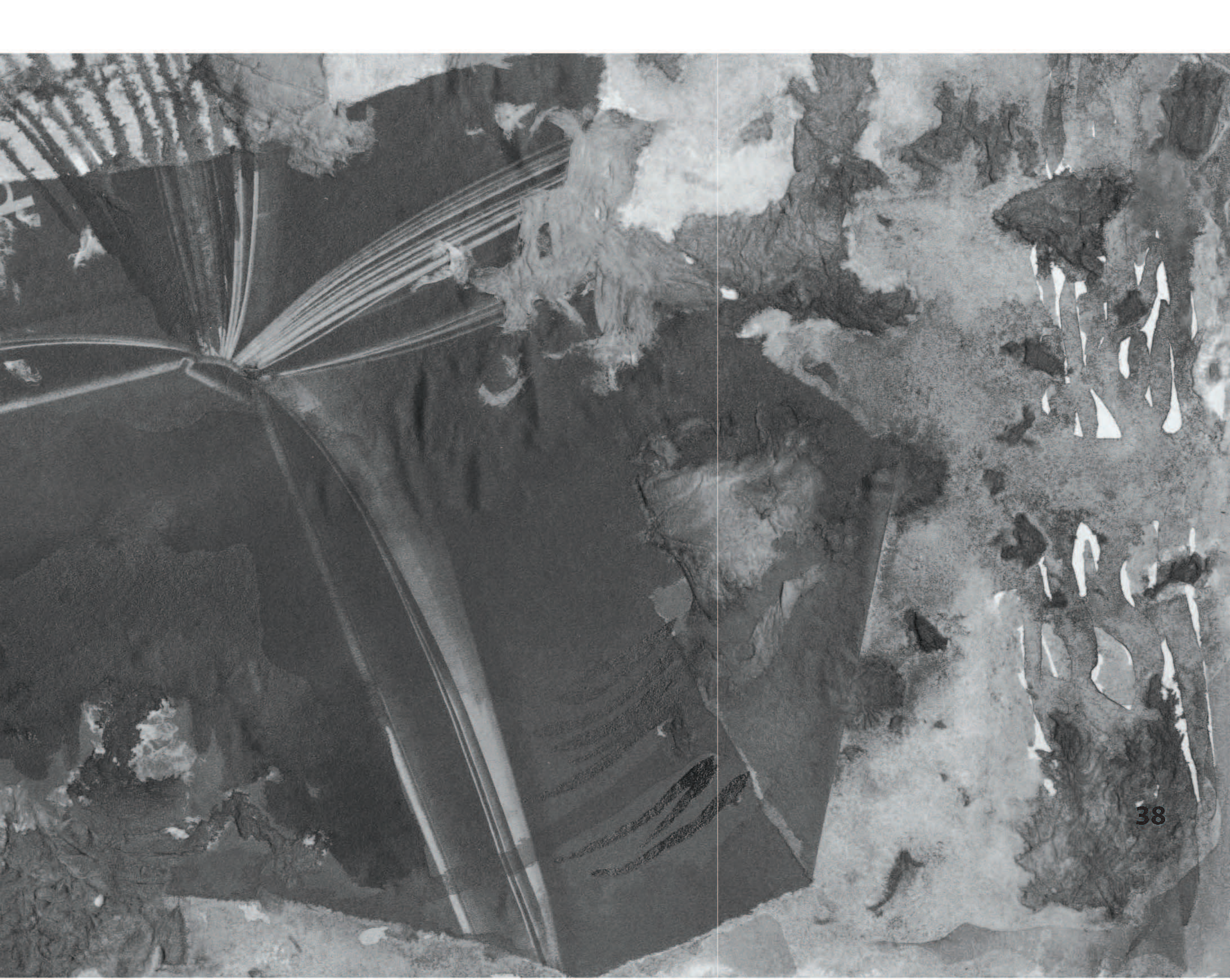
لم تجد قلم الحبر الأحمر المعد خصيصا لتصحيح وظائف التلاميذ. صححتها بقلم الرصاص المبري تماما.

الحادية عشرة ودقيقتين:

منزل الجار المدير مطفئ الأضواء تماما.

الثانية عشرة بعد منتصف الليل:

موسيقى... نوبة نعاس... وبكاء طويل. لا لشيء، وإنما لأن الأشياء تتشابه تماما.



الصرخة



هيثم نافل والي*

يقفزُ أخوها أكرم من مكانه كالملدوغ صارخاً، سأقتلها!

ودمدمَ قائلاً بعد أن غلى الدم في وجهه فصارَ بلون الجمر لو مسكتها بأصبعي الصغير هذا... لأزهقت روحها، والشيطان وحده يعلم ما يدور في رأسي الآن!

تمسكهُ الأم بقوة من يده، كما يمسك الضرير عصاه، وتقول منهكة والقلق يبدو عليها،

---

* كاتب أردني

متوسلة من خلال دموعها: أرجوك يا بني لا تتهور، أعطنا فرصة كي نفكر لنتدارك الموقف.

ما هذا يا ربي...!

أنت تبدو كالمجنون، تجعلنا لا نستطيع أن نحدد ما علينا فعله. قل لي ما هذا الذي تحمله بيدك المرتجفة أرني إياه؟!

يشدُ أكرم شعره ويضربُ صدره ويطقطقُ أسنانه كالكلب المسعور، وقد بحّ صوته. فيرددُ ما قالهُ للمرةِ الألف: سأقتلها. سأطهر شرفنا من عارها الذي لحقَ بنا. سألقي لحمها بعدَ أن أقطعه صغيراً للكلاب الضالة. سأنظف سمعتنا التي لوثتها بفعلتها المشينة. لا يمكن لي الجلوس هكذا وشرفنا وسمعتنا ملوثة. قولوا لي كيفَ سنعيش بعد اليوم؟ كيفَ سنواجه الناس وبأي شكل؟ لقد كتبت لنا أختنا العزيزة الجميلة الدلوعة تاريخاً أسود بلا رحمة أو شرف. سأقتلها لأكون رجلاً يستحق الحياة بكرامة؟!

ينظرُ لهم الأب بوجه شاحب وبصمت قاتل دونَ حراك وكأنه ميت. فصرخت به زوجته بأسى قائلة:

ماذا عنك يا تحسين. لماذا لا تقولُ شيئاً؟ فإنك ومنذُ أن عرفت بالمصيبة لم تبدِ تعليقاً سوى جلوسك الصامت هكذا كالصنم! فطأطأ رأسه. وصرَّ على أسنانه بقوة كالذئب عندما يريد أن يهجم على ضحيته. حتى بدا الحقد والغيظ يخنقه. فقالَ باكياً كما يبكي السكران:

اصمتي يا امرأة. إنّ الذي حصلَ لابنتنا سعاد كانَ بسببك. والآن تريدين مني أن أتخذ قراراً. كيفَ ذلك؟! لقد جعلتِها مدللة. لاهية كالطفلة بل كالدمية لا تفقه من الحياة سوى طرفٍ من ظل. وعندما أخطأت وأصبحت حاملا دونَ زواج وبهذا السن. رأيتكم تنتحبون وتتوعدونها بالقتل غسلاً للشرف الملطخ. كيفَ هذا؟ إنها أمور لا يستقيمُ لها العقل. فكلما تدخلت في حياتكم قليلاً تذمرتم صارخين:

لا تتدخل. نحنُ أعلم بما نفعل. لا تجهد نفسك. يكفيك عملك و... والنتيجة هي أن ابنتي تموت. بل إنها ماتت. ماذا تظنون؟! وأنت قل لي (ينظرُ إلى ابنه باشمئزاز) ماذا تحمل في يدك. ها...؟ أتريد أن تقتلها؟ ألم تقتل نفسها في اللحظة التي وثقت فيها بذلك الرجل الذي أغواها وعشمها بالزواج كذباً؟ لقد ماتت أختك فعلاً. فلا داعي

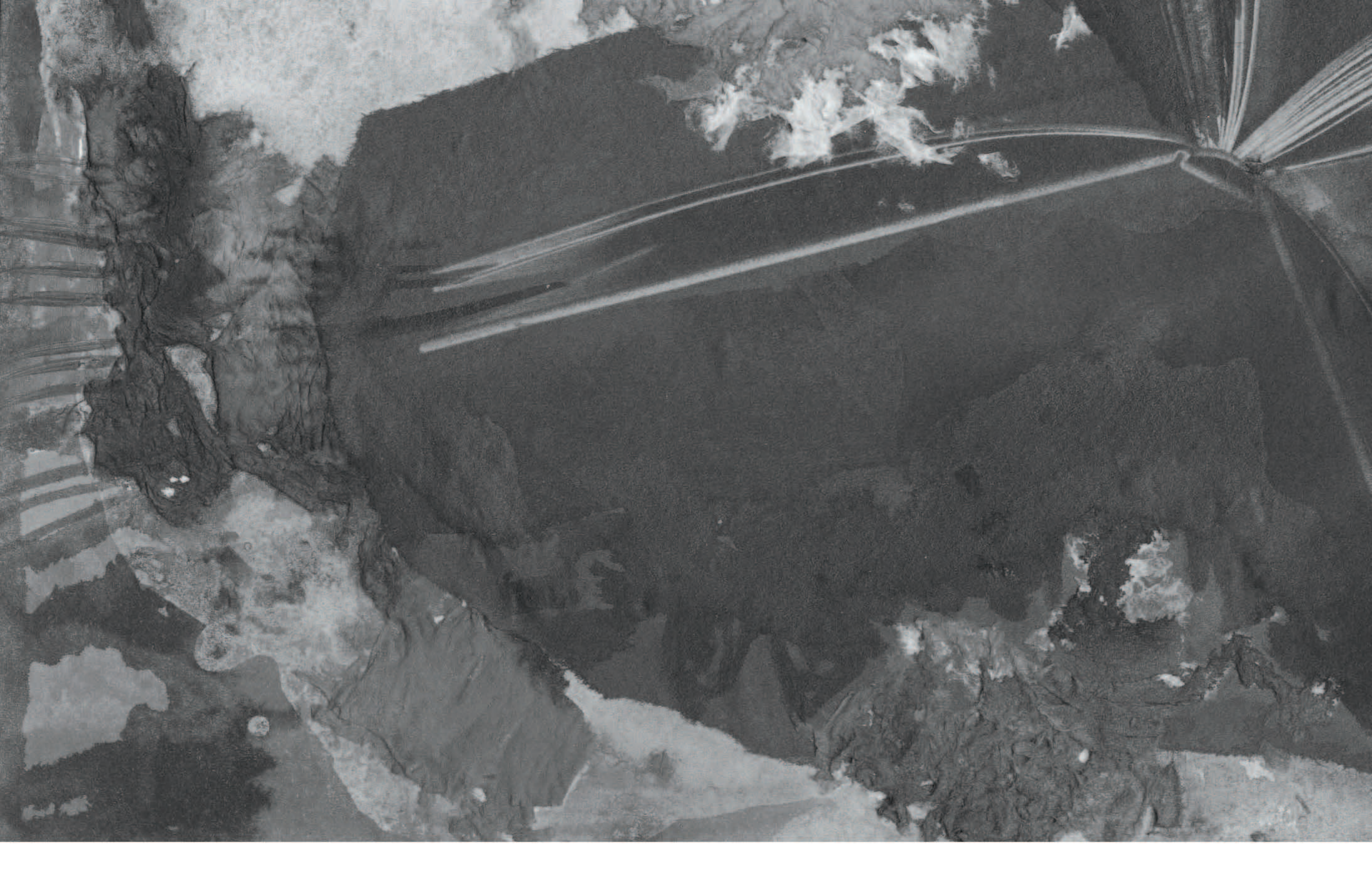
من قتل الميت! فنكسَ رأسه ودخلَ إلى حالة الغيبوبة والصمت المرعب الذي كانَ فيه من جديد ليبدو كالحجر.

تدخلُ سعاد الغرفة صامتة كالظل، وبطنها منتفخة وكأنها في الشهر التاسع من حملها، تتعثر بخطواتها مثل الذي يساق إلى ساحة الإعدام، بدأت شاحبة وضعيفة ومنهكة وهي تلهث ونفسها يكاد ينقطع، كأنها انتهت من ارتقاء درج عالٍ للتو، فقالت بصوت مرتبك غير مسموع، وكأنها تحدث نفسها:
أنا أعترفُ بجرمي أمامكم، لكنني لم أكن قد أخطأت بمفردي، فقد ساعدتني أمي بدلالها المفرط اللذيذ، وأخي بتهوره وعدم السماح لي بمصاحبته، لم يحاول يوماً أن يفتح لي قلبه أو حتى أن يكسب ودي، كما أنه لم يعاملني كإنسانة لها مشاعر وأحاسيس، ما كانَ يؤمن به شيءٌ واحد، هو أنه الرجل، لقد كانت نظراته لي سُمّاً وكلماته خنجرا، لأبقى لا شيء في عرفه، لقد فعلت ما كانَ يفعله كل يوم، لكنه يحرمُ عليّ ما يحلله لنفسه، حتى بتُ أهيم بلا معنى وأعيش دون جدوى كدمية كما قالَ أبي بالضبط أحيا بلا حياة، ثم أردفت:

أنا لا أدعي بأني غير مخطئة، بل أنا فاسدة، وحقيرة، بل لا أستحق منكم حتى أن تلوثوا أيديكم بدمي، لأنني في عرفكم يجب أن لا أكون، إلا كما ترغبون فأحيا بلا قلب، خاوية مقفرة كالقبر، إذن سأقتل نفسي بإرادتي ودون مساعدتكم، سأعدم نفسي لأكون نسياً منسيا، تتقهقر، تتشنج، فتنهار ساقطة على الأرض...
تصرخ الأم باكية، سعاد ابنتي...

لم يعد أخوها أكرم يتحمل الصبر أو الانتظار، يهجم عليها كالأسد حاملاً سكينهُ الحادة التي تلمع كلمعان الذهب، يمسك بقبضته الحديدية رأسها، فيلوي عنقها، يتدخل الأب في هذه اللحظة الحاسمة الحرجة، ليقف كما السد الذي يحجز المياه، ويقول صارخاً، كفاكم كفراً وغباء، دعوها... إنها...

تخرجُ من غرفة سعاد صرخة عارمة مدوية تهز أركان المنزل كله، فتهرع الأم راكضة إلى غرفة ابنتها التي تجاور غرفة نومهم، فتفتح الباب على ابنتها النائمة، بقوة وبخفة ساحر، بينما يدخلُ أخوها مسرعاً وكأنه يود إطفاء حريق قد شب في الغرفة، بينما كانَ الأب يقفُ على رأسهم



كالصقر، ليجدوا سعاد وهي جالسة على سريرها تبكي بهلع جنوني، تتقدم أمها نحوها، فتقول لها وهي تمسح الدموع من على وجنتيها، ماذا جرى لكِ يا ابنتي؟ إنه مجرد كابوس، لا تقلقي أبداً، خذي اشربي هذا الكأس من الماء، بللي ريقكِ أولاً، نحنُ وكما تشاهدين جميعنا بجانبك، هدئي من روعك، يتوجه الأب نحوها ويقول مبتسماً كالطفل، لقد شغلتنا عليك يا، نظرت سعاد لهم بعيون لامعة فاضت فيها الدموع، فتقول ضاحكة: أنا أعتذر منكم يا أحبائي، لم يكن في بالي قط أن أيقظكم في ساعة متأخرة من الليل ولكن للنائم عذر فيما يحلم به!

يأخذُ أخوها يدها فيقبلها بحنان أم، ويقول باسماً كالصبح، سوف ننتظر بفارغ الصبر وعند الإفطار أن تخبرينا بقصة الكابوس اللعين هذا، لكي نضحك معك وعليك يا دلوعة!



رتوق على روح الكون

مهند العزب*

بخطى ثابتة، نذهب إلى التعثر

**

الطاووس الأعمى: حكمة الطبيعة

**

كم هو الحطاب خائف على الشجيرات الصغيرة

من أن تقتلعها العاصفة

**

إذا أدركت تماما معنى التيه، لن تعتقد أبدا أنك

وصلت

**

* كاتب أردني

الخيول البرية لم تعرف في حياتها فائزا أو خاسرا، إلا لحظة وضع السراج على ظهرها

**

أحيانا يجب أن تطفئ الشمعة الوحيدة لديك، لتثق روحك أن الفجر على الأبواب

**

وحيد معجب بفكرة الشورى

**

لا شئ مذهل مثل الفجر، يعطيك كل ما تحتاج... بداية جديدة

**

هي الخيبة ربما وراء ظاهرة انكسار الضوء

**

الأعرج يتمنى لو يمشي مرة بخيلاء

**

تبكي البكماء كلما رأت لجام فرس

**

فتاة الليل، ترى الخفاش مزورا فهو لا يقدم تنازلات للعتمة

**

دوما هو خطي مرتجف سيء، لأنني أتهيب ما أخط

**

قفل مفتوح: تناقض الوجود

**

قد يخسر المرء أكثر ما يعتقد أنه يستطيع الاحتمال

**

سمكة عجوز تمر بحزن بالقرب من قارب صيد غارق

**

حارس مستودع الأسلحة.. أعزل

**

حتى الموت، لم يفتك بأحلام البشر

**

كل الأمكنة التي شدتني في حياتي، أتوق إلى مغادرتها

**

المشوّه يبحث بإصرار بين المارة، عمن يشبهه

**

العجوز الأبكم في روحه طفل يصرخ

**

المقعد يعشق الخيول البرية التي لا يستطيع أحد أيا كان أن يمتطيها

**

آفاق قصصية وشعرية كتابات واعدة

زياد أبو لبن*



آفاق الشعر:

قصيدة "لا تغتب الآتي" للشاعرة نسرين أبو خاص.

يتمثّل الأمل والحياة في قصيدة "لا تغتب الآتي"، في ثنائية تنطوي عليها شعرية عالية، من خلال لغة محمّلة بالصور الجميلة، بل تُثير في مخيلة المتلقي صوراً مركبة للتعبير عن مشهدية الحياة بكل ما تحمله من معاني الأمل والتفاؤل بالآتي، في إيقاع شعريّ، ولغة تمتلك خصوصيتها، فنسرين أبو خاص شاعرة تعي لحظة الكتابة، وتغدو في مصاف الشعراء الشباب الواعدين بكتابة متميزة.

---

* ناقد أردني



لا تغتب الآتي

نسرين أبو خاص

18

قصيدة "نرجسة الوطن" للشاعر طارق الدراغمة.

تعبّر قصيدة "نرجسة الوطن" عن شوقٍ لمدينة القدس، باعتبارها – أي القدس - مهد الديانات السماوية، وتاريخ الأمم المتعاقبة، فالبناء الشعري ينفلت من الإطار العمودي في بعض الأبيات أو الأسطر الشعرية، فتظهر أمام القارئ جمل إنشائية تخلو من لغة الشعر، وتُشعرك أن القصيدة مفككة، وإن كانت القافية علامة شكلية تحدث إيقاعاً خارجياً، عموماً، يبقى طارق الدراغمة من الأصوات الشعرية الشابة الواعدة.



هي طفلة

لؤي احمد

16

قصيدة "هي طفلة" للشاعر لؤي أحمد.

تنطلق قصيدة "هي طفلة" من الخاص إلى العام، لتعبّر عن وَجْد مولع باكتشاف الذات، أو اندغام الذات بالآخر، فيوظّف حكاية العرّافة، تلك الحكاية الشعبية، في تمثّل الماضي وإعادة صياغته في لحظة راهنة، كما في قوله: "وقرأتُ في كفّ العرافة.. قصتي: لا بدّ لي.. من أن أتيه.. مُولّها.. شئت الغياب.. كما يليق بشاعرٍ.. شاء البداية، والنهاية قبلها..". هي قصيدة مكتملة، تكشف عن قدرة شعرية متميّزة.



نَرْجِسَةُ الوَطَنْ

طارق الدراغمة*



رحلة أولى

يزن الدبك*

قصيدة "رحلة أولى" للشاعر يزن الدبك.

لا يخفى على القارئ تلك اللغة الشعرية الجميلة في قصيدة "رحلة أولى"، وتلك الصور المتولّدة فيها، فهي قصيدة تنحو إلى قصيدة النثر، حيث تكشف عن قصيدة مكتملة في بنائها الشعريّ، وشاعرية يتمتع بها "الدبك" تعد بالكثير.

قصيدة "تناقض" للشاعرة بنان الصبيحي.

تظهر بساطة الفكرة في قصيدة "تناقض"، ما أوقعها في المباشرة، وبساطة الصور المركبة، وإن كان القارئ يلحظ اللغة الشعرية في القصيدة إلاّ أنها بداية تَعِدُ بما هو أكثر عمقاً، وأقدر على تمثّل الحالة الشعورية .

آفاق القصة:

قصة "حوار" للقاص محمد أحمد الرغايفة.

أقرب ما تكون قصة للأطفال، فيها من الرمز الذي يكشف عن الواقع، أو يُحدث إسقاطات على الواقع. فصراع السحابة والبئر يحتدم بين البشر في الأفضلية. مَنْ يكون أفضل من؟ نشأ هذا الصراع منذ الخليقة على يد قابيل وهابيل. فيكون "الماء" الحكم بين السحابة والبئر، ويقرّ أن لكلّ منهما فضلاً في هذه الحياة، ويدعوهما للتعاون بدلاً من الاقتتال أو الصراع، وتنتهي القصة عند هذا الحدث، القائم على حوار ثنائي بين السحابة والبئر، حينها ندرك أن القاص لديه حسّ قصصي قابل للتطوير والاشتغال على النمط الرمزي في بنائه.

قصة "مكالمة من برلين" للقاص محمد الطريمات.

تبدو القصة مترجمة، أو قريبة من اللغة المترجمة، بما فيها من أسماء وأحداث تدور في الغرب، فهي أحداث تشكّل في بنائها عالماً غريباً خالصاً، فكأن تراكيب الجمل فيها توحي بفعل الترجمة، قد يكون هذا من تأثير القراءات المترجمة، خاصة الروايات والقصص، فأحدث تأثيراً جليّاً في الكتابة، رغم ذلك فالقصة


مكالمة من برلين

محمد الطريمات

مُقامُ الشباب

عامر الشقيري*

أوماً الشتاء بِدنوه، فَعَوت رِياحُ المَساءِ،وتَراحَمت غُيومُ الغَيثِ وتَهيأت للغوث، فَنُقلَتْ مَجالِسُ أهلِ القُرى -ومِنها مَجالِسُنا- ومُسامَراتُهم إلى البُيوتِ بَعدما كانت خَارِجها، فَنحونا نَحنُ الشَّبابُ نحوهم، ودَخلنا مَجالِسهُم، فاختلطنا وما انسَجمنا، إنما ظل الحَديثُ لَهم والإنصات لنا، وكانت هذهِ منْ عاداتِ القُرى وأهلها ولم يَكُ مِنا مَنْ اعتاد خَرقَ العادةِ والمساس بها، وعلى هذا النحوِ مَضت أولاتُ الشتاءِ وطالَتْ الحال وضاقت بنا، فلا حَديثُ المُسنين يُواتي رُعونةَ الريعانِ فينا ولا إنصاتُنا استهوى شَبابَنا، فاقتَرح مَن مِنا ومَنُهُ في السِن واجتَرح: نَرتادُ مَضافة خالٍ لي خَالِية.

وما كادَ يُنهي حتى أسرَعَ الجَمعُ وما أبطأ، فَدخلناها، فإذا هي مَهجورة، ومَرتعٌ للقوارِضِ والمَرض، فاجتَهدنا، وأعَدنا كِياسَتها ونَظافَتها،ودَخلناها بَعدَ جُهدٍ فاحَين، فصارت مَلجأنا ومَخبأنا بعد حين، نَرتادُها عند الغروب،وما نَتركُها إلا قُبيلَ الفَجرِ

* قاص أردني

30

مكتملة فنياً، وهي تنمّ عن موهبة قصصية تبشّر بالتميّز، بما تمتلكه من أدوات القص الحديث، القائم على المفارقة، والمغاير للواقع.

قصة "مُقام الشباب" للقاص عامر الشقيرات.

تقترب لغة القصة من اللغة الشعرية، المحمّلة بالصور، لغة جميلة تدفعك لقراءة القصة دفعاً هيناً ليناً. تكشف حوادثها عن مغامرة في سلك طرق مجهولة، تعود بك إلى فن المقامة العربية، وما تنطوي عليه من فنّيات قصصية، بل وإلى حكايات ألف ليلة وليلة، وما تتمتع به من مغامرات. فتعتمد القصة لغة السرد الحديث القائم على الاستباق والاسترجاع، في تناول الحدث القصص المتفرع من حكاية إلى حكايات، فالقاص يمتلك مهارة قصصية متميزة.


المرايا تخدع

رشيدة بدران*

27

قصة "المريا تخدع" للقاصة رشيدة بدران.

تتمتع القاصة بأسلوب قصصي مشوّق ممتع، وأسلوب سلس، ولغة جميلة، فالقصة تمثّل جنون الإنسان في هذه الحياة، وإنّ الجنون لا يتوقف عند الحلم، القابل للتحقق، وإنّما ينفرج إلى الواقع بكل حذافيره. تكشف القصة عن كاتبة متميزة، فهي قاصة تمتلك أدوات القص، وتحلّق بك في عالم مليء بالجمال والمتعة.



قصة "السبات الشتوي" للقاص أسامة الساحوري.

هذه قصة أقرب ما تكون لقصص الفتيان، استخدم فيها القاص رموزاً قصصية (الأرنبة والثعلب والشجرة) في تصعيد الأحداث، والقصة تذهب مذهب قصص "كليلة ودمنة"، بأسلوب قصصي شيّق، وتنتهي بحكمة كما كان القصّ العربي القديم ينتهي. لكن يبقى القول أن الكتابة تحتاج إلى وعي كبير في عالم الطفولة، الممتدّ إلى الفتيان اليافعين، وهذا ما سيكون أمام الساحوري، كي يمضي في الكتابة.



قصة "بملامح معتوهة" للقاصة إسلام الحوراني.

تقترب القصة من الواقع كثيراً، وتستخدم القاصة لغة شعرية بضمير "الأنا" المتكلم، لتروي حكاية أقرب لحكايات الشعراء المجانين/ الشعراء العذريين، فالحسّ الإنساني في القصة قد أخرجها من المباشرة والتقريرية، إلى قصة تمتلك أدوات القصّ الحديث. قاصة تعي فنيات القصة الحديثة، وتبشّر بالجديد.

قصة "هكذا توأد" للقاصة دعاء جهاد.

تتضمن القصة صورة الشهيد في تجليات المشهد الإنساني المؤثّر، وفي القصة تسلسل للأحداث بطريقة منطقية من بدايتها إلى نهايتها، أي تسلسل هرمي، في لغة جميلة، وبالإمكان أن تشتغل القاصة على تقنيات السرد الحديث من تقديم وتأخير/ استباق واسترجاع، كي تعطي للقصة وهجها الجديد.

هكذا توأد .... !!

دعـاء جهاد*

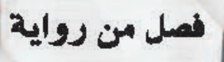
ينسل بهدوء ململما فستانه الليلي بإجلال لهالة من النور أطلت تضيء القبة الزرقاء تنبعث من قنديل تربع وسط السماء معلنا بدء يوم جديد... وسارت أشعته لتطرق نافذتي وبابتسامة مكتنزة بالأمل أزلت ستائري فاندفعت أضواؤه بشوق تحتضن الزوايا والأركان لتعبق المكان بنسمات من الدفء والحنان.

بدأت أعيد لغرفتي حلتها ولساني يرتل ترانيم الصباح حامدة شاكرة لله مجددة الشهادة له بأنه مالك الملك لا إله إلا هو المنان ثم رفعت خصلات شعري المتناثر وإذ بجرس البيت يقرع... ويرد صوت الحبيب من قريب ليسأل من الطارق.

ويفتح الباب لأسمع صوتا حنونا جاء ليكور بحدقتيه صورة ما غادرتهما بل أسرتها بجفون حنونة لتبقي على لونها غنيا صافيا متجددا...

* طالبة جامعية

36



أمواج السنابل*



عارف الهلال**

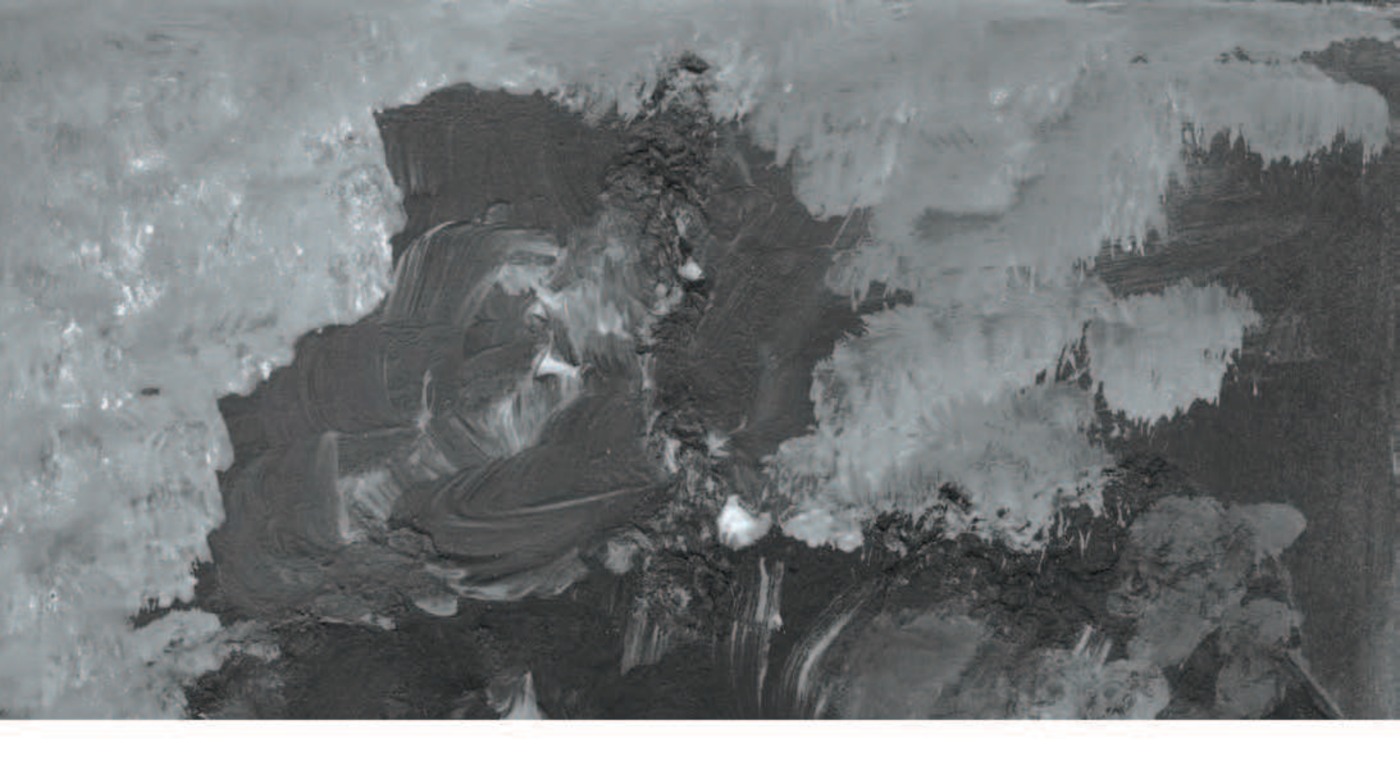
بغتة استيقظ النائمون، فتلمسوا رؤوسهم وظنوا غير مكذبين بأنهم ليسوا هم، الرجل منهم يتساءل في نفسه: إن لم أكن أنا فمن عسى أن أكون؟!! من يستغرق في النوم طويلا قد يسأل نفسه عندما يستيقظ إن كان هو أم لا؟!! بعد حين أدركوا أنهم هم وليسوا سواهم، كان استيقاظهم من نومهم أشبه بإفاقتهم من غفلة. نظروا حولهم، فإذا لا ثغاء ولا رغاء ولا خوار ولا شحيج ولا نهيق ولا نقيق ولا هديل(1)، ولا زرع ولا ضرع. حلت العيمة

---

* فصل من رواية
** كاتب أردني

حين استبدلوا الناطق بالصامت(٢). خرجوا جميعا في آن إلى الطرقات وكأنهم يستجيبون لنداء. فرأوا ما لا يعهدون. الدروب معبدة فلم تعد تتلطخ الأحذية بالوحل. ولّى العنت وحل الرخاء. نظروا إلى فوق رؤوسهم فلم تتعد عيونهم الحبال المشدودة تفرعت منها الخيوط الممدودة التي تشعبت من الأعمدة المغروسة بثبات على حواف الأزقة تمتد إلى جميع البيوت. فأعشت الأضواء الأبصار.وقد كانت من قبل تبصر في حالك الظلمات. أرسلوا أعينهم أسفل منهم فوجدوا الأنابيب تتفرع بكل صوب تشرق بالمياه تدخلها إلى المنازل فتشخبها(٣) من الصنابير بيضاء كالحليب لها زبد تفور من فوق إلى تحت تكاد تخرق الصخر لا مقطوعة ولا ممنوعة طيلة النهار وكل الليل. قبل أن تقذف النجيع(٤) من ركام الصدأ لبعد عهدها بالماء. فالبئر معطلة. جالوا في الحواري فوجدوها تعج بالدكاكين. إحداها تتكئ على كتف الأخرى.كل منها تغصّ بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاشتروا ما كانوا يزرعون بأدنى المكاييل وأغلى الأثمان. فالأرض بور. استداروا يمينا ويسارا فمروا من أمام باب ينشر خبزا لا تنفث منه رائحة. فطووا تحت أضبانهم أرغفة تكفيهم قوت يومهم. زاد يوم بيوم نذير جوع يدوم. امتدت أرجلهم إلى ظاهر القرية فوجدوا البناء انتشر في حقول الحصاد انتشار النار في الهشيم. فتطاول البناء حيث كانت تطاول أسوق السنابل. سألوا أحد "السواكين".كيف زحف البنيان وتعامد العمران؟! فأشار "الساكون" مرة إلى امتداد الحقول وأخرى إلى هياكل البناء وقال: بعنا وبنينا. أول عروة من عرى الميراث جعلت الكثير قليلا. والسابقون الأولون لم ينفعهم حرصهم. عادوا آخر النهار إلى بيوتهم يطأطئون رؤوسهم ويتخالفون في الدروب. فلم يعد الأخ منهم يعرف أخاه. فكل في شأن يغنيه. عاد كل منهم إلى بيته فاستلقى على ظهره وثنى ساق إحدى رجليه على ركبة الرجل الأخرى. لا يجد من يكلمه. فقد تبلمت الألسن بعد أن كانت تتبلبل(٥). عقدوا أصابع أيديهم خلف رؤوسهم وأخذوا ينقلون عيونهم من بقعة في جدار إلى بقعة أخرى في جدار آخر كأنهم يستنطقونها عن أسرار قوم روعهم هادم اللذات. وشتتهم مفرق الجماعات. فتتحجر عيونهم لا يستطيعون صرفها عن مواقع سقوط نظرها وكأن أنوار أبصارها تستدفئ بالنظر إلى الجدران التي لم تعد تدفئها "الكوانين". البيوت كانت تدفأ بالأجساد وليست بالنيران. فأخذهم الحنين إلى أيام الشقاء.

خرج الرجل "الحصيف" يفر من وحشة ألمت به في بيت ضاقت عليه جدرانه، فالتقى الرجل "الوقور" في أحد الطرقات وكأنه قد فزع مما قد فزع منه صاحبه، قال الرجل "الحصيف" سائلا الرجل "الوقور" والحيرة تبدي إماراتها على وجهه المتجهم: أشكر لك أيها الرجل "الوقور" لو دللتني إن كنت تعلم تحت أي نجم من نجوم السماء يقع قبر "تميم بن أبي"، لأدعو له؟!. نظر الرجل "الوقور" إلى الرجل "الحصيف" نظرة لا تخلو من الشك والريبة في أن الرجل "الحصيف" فقد حصافته واختلط عليه عقله، وكأن الرجل "الوقور" سالم العقل وافر الحصافة، أرسل الرجل "الوقور" نظره إلى السماء، ثم أعاد بصره إلى الأرض، ثم التفت إلى الرجل "الحصيف" وقال: ألقت علي القول برزة من النساء(٦)، ثرة حسناء، غراء فرعاء، غيداء شماء، حوراء زجاء، وطفاء مرهاء، دعجاء نجلاء، بلجاء صلتاء، شنباء رتلاء، لمياء لعساء، رخصاء سلتاء، ملساء ردماء، هيفاء بهناء، رَزان حَصان، خفوت الصوت، غضيض الطرف، تنهل من مناهل العلم نهلا جما، وتعب من معين الأدب عبا لمًا، ذات بداهة وبيان، وقريحة ولسان، مالكة لملكة مكين القول نثرا، جامعة لزمام فصيح الكلام شعرا، نقية سوية طبع الفطرة، سليمة سجية فطرة السليقة، على وفرة في الخَلق، وتمام في الخُلق قالت: "العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم"(٧). فأول العلم أيها الرجل "الحصيف" يقود إلى آخره، وآخره لا يكون إلا بأوله، فيجمع شذره وتبره(٨)، من صفحات الصحائف على تفاوت الزمن، حتى تصير جواهر ودررا، جَمعَ أعواد الحطب، من سعة الفجاج، حتى تصير أكواما وحزما، عندها يكون المرء عليما، والحلم يكون بافتعاله، وليس به في ذاته، فمن كظم غيظه عن غر جهول، أو تجاوز بعفوه عن أرعن عجول، وتدبر أمر نفسه برأي أهل التجارب،وانتحى عن آراء أهل المآرب،، وصبر على ظلم الغرباء من غير ذل، وعلى ضيم ذوي القربى من غير دُحل(٩)، صار حليما، بدت الدهشة على وجه الرجل "الحصيف" وظن أن الرجل "الوقور" قد سلب عقله فصار يقول ما لا يعي، ويغرف مما لا يعرف، أعاد الرجل "الحصيف" القول على الرجل "الوقور": أراك صرت تلوك لسانك، وتنتقي من القول ما يجمل بيانك، وكأنك عالم بما لا أعلم، وأنا أعلم بأنك لا تعلم أكثر مما أعلم، فأسهبت أيما إسهاب، وزدت في الإطناب حيث كان يجب الاقتضاب، وأطلت الخطاب، فأفندت بالجواب،فقلت غير الذي أريد، وأجبت عما لم أسأل!!، قال الرجل "الوقور" للرجل "الحصيف": ويحك أيها الرجل "الحصيف"، ألَمْ أقل لك بأن ذات الريحانة، الكلول



الوسنانة، الحسيبة النسيبة، الأديبة الأريبة، الشريفة العفيفة، الكتوم العطيفة،قد قالت لي بأن "الفهم يبزُّ العلم"(١٠). فمن أوصد الباب أمامه، فلم يكتسب من العلم ما يكفيه لعقله، انفرج له باب الاستزادة بما وهب له من الفهم، فتمكن من إبرام الإحكام من حكم الأيام،فالعلم جزء والفهم كل. قطع الرجل "الحصيف" القول على الرجل "الوقور" بقوله: لا تأخذني أيها الرجل "الوقور" بفهمك، فما أشاغله في نفسي أشد مما تناجيه في نفسك، فإن عجزت عن جوابي على سؤالي فلا تزدني حيرة في فهمي على حيرتي بعلمي، فإن لم تسعف على الحال فاترك سجع المقال. قلّب الرجل "الوقور" كفيه

وهو يطوف ببصره في أقاصي الآفاق، ثم التفت إلى الرجل "الحصيف" وخاطبه بالقول: ما أشد عجبي لقولك، وشدة تعجبي من أمرك، أتسأل عن قبر من اسمه ينبئ عن سالف عصره ونحن في زمن لم يُعد يُسأل فيه عن الأحياء؟!!. قال الرجل "الحصيف" وهو يجحظ بعينيه: وهل فات فهمك أيها الرجل "الوقور"، بأنه في الزمان الذي يصبح فيه العليم جهولا، والحليم حيرانا، يصير الحكيم مؤخرا، والسفيه مقدما، والسيد رعاعا،والرعاع سيدا،وينهض الرويبضة(١١) بأمر العامة، يملأ الأسماع هدير خطابته، كجمل يرسل شقشقته من بين أشداقه(١٢)، فيعلو صخبه، ولا تُعى خطبه، ويظهر زبده،ولا تُجنى زبدته، في

مثل هذا الزمان أيها الرجل "الوقور" يحبذ العاقل باطن الأرض على ظاهرها، كي لا يعيش غريبا بين أهله، أو يكون شريدا في ديار قومه. ففي مثل هذا الزمان أيها الرجل "الوقور" يكون الميت أفضل من الحي. "تميم بن أبي" الذي سألتك عنه هو الذي سبقنا إلى العلم بمجاهيل الأيام،إذ رأى بعين بصره، وطيف بصيرته من مساوئ زمانه على فضله على زماننا، ما لم نره في رداءة زماننا الذي يسومنا سوء العذاب فلا نتجرأ على الشكوى، ولا نستطيع الانفكاك من البلوى التي لا ندرك حقيقتها بقدر ما نحس بأثرها،ولا نعرف منها إلا ما تبعثه في نفوسنا من الضيق، فقد كلت حدقات الأبصار وتبلدت غضون البصائر أما "تميم ابن أبي" فقد أدرك ما ضاق به صدره،وتخير لأمر نفسه، فتمنى لو لم يكن تميما، إذ قال:

ما أطيَبَ العَيشَ لو أنَّ الفَتى حَجَرٌ

تَنبُو الحَوادِثُ عَنهُ وهُوَ مَلمُومُ(١٣)

---

(١) الثغاء: صوت الضأن والماعز والرغاء: صوت الإبل، والخوار: صوت البقر والشيحج: صوت البغال، والنهيق: صوت البرازن، والنقيق: صوت الدجاج، ويطلق على صوت الضفادع، والهديل: صوت الحمام.

(٢) العيمة: شهوة اللبن. والقرم: بفتح القاف وكسر الراء، شهوة اللحم. والجعم: شهوة الفاكهة. والناطق من الأموال: الأنعام،والصامت: النقد.

(٣) الشخب: بتشديد الشين المضمومة وتسكين الخاء، خيط الحليب يخرج من الضرع إلى الإناء.

(٤) النجيع: الدم الأسود، والدم الجاف.

(٥) تبلمت: صمتت. والتبلبل: اختلاط الألسن.

(٦) البرزة من النساء: المرأة التي تظهر على الرجال مع العفة والحشمة والوقار.

(٧) من أقوال أهل الحكمة، ذكر في غير موضع من كتب الأدب دون أن يشار إلى قائل بعينه.

(٨) الشذر: حب اللؤلؤ الصغير والتبر: فتات الذهب والفضة.

(٩) الذحل: العداوة والحقد.

(١٠) بزَّ: غلب.

(١١) الرويبضة: الرجل العاجز الذي يقصر عن معالي الأمور، ويقعد عن طلبها، وزيادة الهاء للمبالغة في الوصف.

(١٢) الشقشقة: لهاة البعير يرسلها من فمه منتفخة يهدر بها الصوت عند الهياج، وجمعها شقاشق. والأشداق: أطراف مشافر الإبل.

(١٣) البيت لتميم بن أبيّ بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة أبو كعب (٥٥٤-٦٥٧)، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم،وظل يبكي أهل الجاهلية، والبيت من قصيدة طويلة عدتها سبعة وأربعون بيتا، مطلعها:

أَناظِرُ الوَصلَ أَم غادٍ فَمَصرُومُ

أَم كُلُّ دَينِكَ مِن دَهماءَ مَغرُومُ

مقالات

الفنّ.. بين الجمال والتطهير




بنان الصبيحي*

"ليتكم تحذون حذوي، فإنكم إذا أخرجتم ذلك الجنين الذي يعذبكم إلى عالم النور لن تلبثوا أن تنعموا بالراحة وتشعروا بالسكينة وتظفروا بالهدوء!!"

هذا ما قاله "Goethe" لأصدقائه ناصحاً.. بعد

* طالبة دراسات عليا

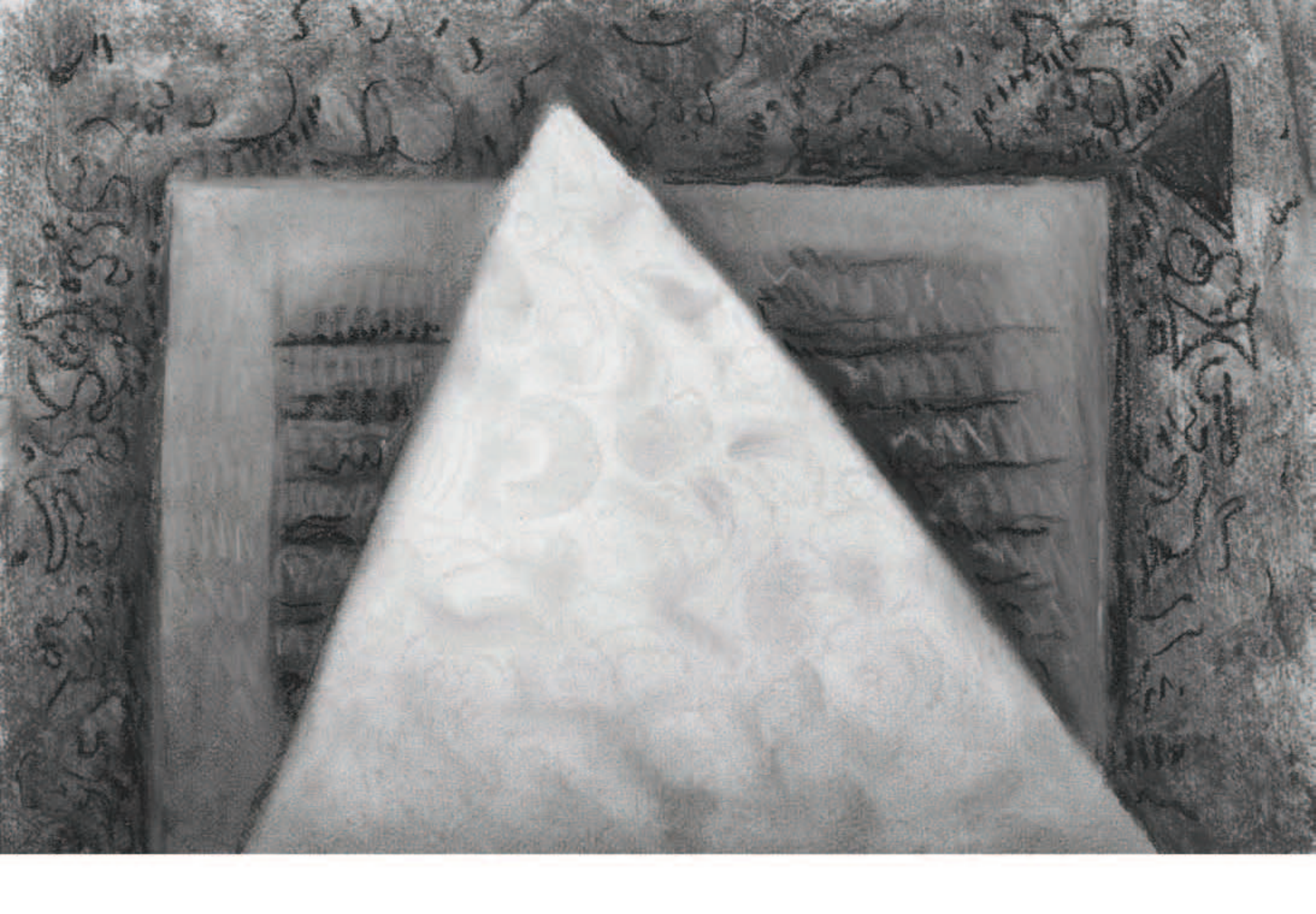
تلك التجربة الناجعة في روايته الشهيرة "آلام فرتر" التي كتبها دون أن يبذل أيّ جهد شعوريّ باستثناء جهد الإنصات إلى هواجسه الباطنية فتمكن بعد ذلك من تحرير نفسه من كافة الضغوطات والمخاوف والوساوس الشيطانية التي كانت تسيطر عليه وتقبض أنفاسه، فانتشل نفسه من سجن الرغبة القوية في الانتحار إلى حياة ملؤها الغبطة والرضا.

يُعد العمل الفني ضرباً من الاعتراف الذي يسعى الفنان من خلاله إلى التنفيس عن رغباته المكبوتة في أعماقه، وهو أشبه ما يكون بعملية تطهير روحية، أي أن الفن يعمل على تطهير انفعالاتنا من خلال التحرير أو التحصين الخُلُقي لطرد كافة المشاعر العنيفة من خوف ورهبة ورأفة وحب إلى غير ذلك من أحاسيس داخلية دفينة يمكن أن يكون قد استقر تأثيرها في قرارة النفس وأعماقها.

ولعل الفنان هنا يعيش حالة من التقمص الوجداني والتعاطف الرمزي لحالة شعورية ما تدفعه نحو إخراج العمل الفني أو الجمالي بطريقة خصبة ومؤثرة مفعمة بالعاطفة المشبوبة والحس المرهف.. وهنالك من يرى أن العنصر الجمالي دخيل على التجربة البشرية فهو وإن كان يضفي عليها مزيداً من السمو الأخلاقي بل ربما الوهمي في كثير من الأحيان، إلا أنّه في حقيقته لا يعدو أن يكون أثراً من آثار الترف أو الكسل أو اللهو..

هذا العنصر الجمالي المتناقض يولد نوعا من الخبرة الجماليّة وهي في حد ذاتها تمثل الحضارة بكل صورها وأشكالها فتحفظها في سجل ناطق بعظمتها ورونقها متغنيةً بأمجادها. وهذا بالتحديد ما يفسر اختلاف التصورات الجمالية والصنائع الفنية والسمات الطرازية على اختلاف الحقب التاريخية، الأمر الذي يتطلب منا بل ويجبرنا على أن نزيح الستار عن كافّة مقومات الإبداع.

لطالما تأثر الفن بالواقع؛ فالفنان يقوم بإضفاء نوع من الصبغة الواقعية على فنه لا تعكس بالضرورة ما عاشه من اضطرابات واختلالات أو متع ورغبات، بل تمتد لتشمل ما شاهده عن كثب لدى غيره، بحيث تشكل جميعها وحدة جمالية تعود لروح حقبة تاريخية ما. وينبغي عليّ أن أذكر أن الطبيعة تلعب دوراً حيوياً في تشكيل هذه الوحدة الجمالية، فقديما رأوا أن الفنّ مجرد



محاكاة للطبيعة إذ ليس فيها ما هو دميم على الإطلاق..!

وهذا ما أكده" Ruskin" عالم الجمال حين دعا الفنّانين إلى عبادة الطبيعة والخضوع لها خضوعاً كاملاً وتامّاً. فمن منظوره أنّ الطبيعة هي المصدر الأوحد للفن..!

أمّا "ويسلر" الذي كان يخالفه في الرأي فكان يردد دوماً أنه ليس من الصحيح أنّ الطبيعة دائماً على حق..!

أعتقد أنّ المهم في الفن هو خلق عالم جديد متكامل يغصّ بالابتكار والإبداع. دون أن ينحصر في التجربة البصرية بالمطلق.. وإلا فإنّه سيكون نوعاً من الكذب لا محالة.

الطبيعة هي نقطة الانطلاق فالفنّ لا يأتي من عبث ومهمّة الفنان هنا لا تقتصر على المحاكاة المجردة لها. بل إن عليه أن يمتلك حدساً لمّاحاً وبصيرة نافذة تغوص في أعماق ما ترى وتستنطقه بروح العالم وجديّته.



المستقيمات المنحنية

أسئلة الراوي وتقنية السارد

محمد سالم*

عن دار أزمنة للنشر والتوزيع وبدعم من وزارة الثقافة صدرت المجموعة القصصية الأولى للقاص ربيع محمود ربيع في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط تحت عنوان (الذاكرة لا تعشق) وفي قراءة لهذه المجموعة سوف نلجأ إلى توصيفات عامة يمكن أن تكون مفتاحا لدراسة مستفيضة وأكثر عمقا.

---

* كاتب أردني

تتحدد إشكالية هذه الورقة في بحث منهجية لاستقراء ضوابط عامة انتظمت آلية السّرد وتكنيك القص، ويبدو لوهلة أننا على مقربة من نافذة تطل على الأسلوبية بوصفها تخصيصا قادرا على استنطاق البنية الهيكلية للنص (الأشكال والقوالب) وربما يكون لفخ التأويل مسوغاته المنوطة باستخراج الدلالات وتوضيح وجهة النص. على أن هذا الإطار لا يشكل طرحا تقييميا رغم التلويح بين حين وآخر بتماثلات وتقاطعات سادت مسار السرد وتأكيداً فهي لا تعدو أكثر من محاولة لإيجاد تناغمات وفواصل عامة في البناء القصصي.

أجد نفسي هنا مضطرا لدفع بعض المفاهيم الراسبة نحو السطح تحديداً للإشكالية وخروجاً من مأزق الذاتية والانغلاق، فالمتتبع لحركة النقد الأدبي بدءاً من الملاحظات وانتهاءً بالمدارس والنظريات ليلحظ أنها لم تخرج عن الأسئلة الثلاث المقترحة: مقولة الجملة / مقولة النص / مدى تواطؤ مقولة الجملة مع مقولة النص.

تلك هي الأسئلة التي راودت أحلام النقد ومناهجه المتغيرة فمنذ عهد الجرجاني وحتى الصياغات المتأخرة للنظريات النقدية بقي النقد يراوح تحت وطأة هذه المدخلات وربما جرّها قسراً لممارسة سلطتها لتكون أساساً في العملية النقدية.

في الوقت الذي تبدو فيه هذه الملاحظة متعلقة بالكتابة المنهجية – درس الكتابة ودرس التأويل – غير أنها تتسرب إلى طبيعة الكتابة ذاتها؛ إذ يبدو أن مفهوم الكتابة مفهوم إشكالي إذ لم تنجح التعاريف المدرسية في توصيفه ووضعه في إطار محدد مما يحملنا لصياغة استفهامية حول الكتابة بوصفها وعياً.

جررتُ هذه المداخلة للولوج إلى سؤال حول المجموعة مناط البحث سؤال يتعلق بتكنيك السّرد على مستوى الجملة والنص وربما يجاوز عتبة النص القصصي ليطال المجموعة بكاملها.

أشير بداية الى ضابط عام ينتظم المجموعة، والملاحظات التالية ستدعم إلى حد بعيد مثل هذا الافتراض فالجمل الافتتاحية في قصص المجموعة (أغلبها) جاءت بضمير الأنا وهذا يقودنا إلى الإقرار بأن القاص هو ذاته الراوي، بمعنى أن كاتب الحدث هو شاهده وراويه وإمكانية فض هذا التشابك محاولة محفوفة بالخيبة والنقص، مثل هذا التكنيك قد يكون له أسبابه الداخلية؛ فللأسلوبية دورها الفاعل هنا لكن ذلك لا يعني إغفال الإحالات النفسية وطرحها جانباً، فإسقاطات الكاتب ومتطلباته النفسية لابد

وأن تظهر في تقنية الكتابة. هذه الإسقاطات أفرزت قارئاً محايداً فالرّاوي (الكاتب) نجح في تقديم الانزياحات وخرق الثوابت بعيداً عن ذهنية المتلقي أو أنه كان يطرق الجانب المغفل من الذهنية التربوية حيث لجأ إلى تقريب الخيالي من الواقعي وجعله – أي الخيال – يتماهى مع الطبيعة النفسية للمتلقي.

سوف نلحظ أيضاً زخماً من العبارات المكرورة والمتداولة في السياق اللغوي الاجتماعي وهي مبعثرة بكثرة في ثنايا السّرد. بساطة التركيب وسهولة العبارة تقود إلى فكرة حول فئوية الكتابة وبالتالي إلى نموذج القارئ الذي كتبت له مثل هذه القصص.

أشرت سابقاً الى أن فكرة النص تعتمد في سياقها العام على زحزحة الهالات التربوية الثابتة وإيجاد بدائل لها؛ ففي حين يتخذ القص هيئة تبحث في تشكيل صدمة للمتلقي (خرق الثوابت) اتخذت القفلات القصصية وفي اللحظة الأخيرة مهمة الإدهاش (كسر المتوقع) ويظهر ذلك في جل عمل المجموعة (مثل هذه التقنية استخدمها بعض كتاب القصة الساخرة كعزيز نيسين وهوغو فينر وغيرهم).

في بعض القصص يستخدم الكاتب تقنية الكولاج/ القص واللصق من خلال مجموعة من العناوين الفرعية لعنوان رئيسي أو لنقل لوحات تتشارك فيما بينها بذاتية الموضوع. هذه المشاهد المقطعة جرى الربط بينها بأسلوب ذكي لإيصال فكرة النص وتم قلب الأدوار للخروج بأمثولة مغايرة.

ثمة إذن خط مستقيم ينتاب المجموعة غير أنه خط يشوبه الكثير من القطعات والتوقيفات. وربما انحناءات غير متوقعة لم يكن القارئ قد حسب حسابها فالشكل استثنائي على ما يبدو بينما ينصب الكاتب فخاخه في الفكرة بحنكة وذكاء.

تاليا لا أعتقد بأن هذه المداخلة تشكل مقترباً يمكن من خلاله الوصول الى عوالم النص وبواطنه لكنها تقترح مفتاحاً للوقوف على منهجية الكتابة وحرفيتها. وبحسب رؤيتي فالمجموعة التي بين أيدينا ممتعة وذات لذاذة قادرة على التوجيه نحو جماليات فارهة.

وإذا كانت الذّاكرة لا تعشق فهل للنسيان قلب مفعم بالحبّ؟ سؤال ألصقه على غلاف المجموعة وأترك لقارئها الإجابة.



لماذا أصبح غوركي مُلحداً

محمد الطريمات*

للتوضيح فقط: للذين لا يجيدون القراءة، او يستعجلون فيها، فهذا البحث ينظر في إحدى جوانب شخصية الأديب الروسي "مكسيم غوركي"، ألا وهو المعتقد، ويثبت بالدليل، أنّ إلحاده لم يأت عن قناعة، وإنّما عن مجموعة من العوامل النفسية والإجتماعية، وهو بذلك ينبه أولئك الذين لم يجدوا مفرّاً من تقليد هذا الأديب في كل ما انتحاه، إلى هذا المنحى الخطير، وأسبابه الحقيقية، لا طعناً في مقدرته الفنية، وإنّما سبراً لأغواره من حيث هو إنسان عاش وفكر، وإلى أن يأتي الوقت الذي أتأكد فيه من خلو المتعجلين بالقراءة، والمسرعين بالشتم والإتهام لكل من يكتب دون أن يعرفوا حقيقة ما كتب، سأكف عن مثل هذا التنويه، الذي لا أرى فيه تلك الأهمية على الصعيد الشخصي.



* طالب جامعي

حينما تقرأ أدب مكسيم غوركي، تشعر أنك تجالس رجلاً ثرثاراً في مقهى، رجلاً لديه كلامٌ لا ينتهي، لكنَّه كلامٌ - في غالبه - يحمل في طيَّاته جمالاً ووضوحاً وقوَّة. ما أدهشني حقّاً في غوركي هو الذاكرة الحديدية التي تقبع في جمجمته حتَّى طغت عليها فشقت سبيلها نتوءًا واضحاً في جبينه يتذكر لنا رائحة ملابس الفلاحين وعرقهم، ولون البحر المُخملي الكثيف كالزيت، وطعم شاي السماور اللذيذ إذ يغلي في الشتاء القارس. وللحق، لم أكن أتخيَّلُ بادئاً أنَّ ذلك المخلوق المحايد جدّاً، والذي عوّدنا على قراءته الموضوعية للأمور في "طفولتي"، سيُضحي في النّهاية - وللأسف - امرءا اختار أن يكون فارغاً من الإيمان في "جامعيّاتي"، ولكن كيف حصل ذلك؟

تعلّق مكسيم غوركي - بعد وفاة أبيه وغياب أُمه المتكرر - بجدّته تعلُّقاً عظيماً، حتَّى أنَّه اقتبس - فيما استطاع - صفاتها التي لم ير - على حدِّ تعبيره - في سموِّها ورفعتها مُقارباً، فحفظ قصصها عن ظهر قلب، حتَّى كان أصدقاؤه يُلقِّبونها بالرّاوية، وأُعجب بحِلْمها، وصفحها المتكرر عن النَّاس، حتّى أنَّنا في نهاية قصة "رفيقي" نتفاجأ بردّة فعله الباردة إزاء رفيقه الذي استغله وأصبح عالة عليه وشاجره وخالفه على الدوام ثمّ خدعه وهجره. ولكن ما يهمُّنا هُنا من الصفات التي أثَّرت في غوركي من قِبَلِ جدَّته، هو ما أُسميه بالتصرف الساذج مع الله حيث كانت البداية.

كانت الجدة قد اعتادت وهي تنظر إلى الأيقونات في بيتها أنْ تُبعثر كلمات ابتهالها سكرانةً ثملة، وكتب لنا غوركي كل كلمة؛ فقد كان يستمع بإنصات وانبهار! فهل نعجب بعد هذا إذا عرفنا أنَّه تصرف بطريقة مُضحكة وغير لبقة مع أيقونة العذراء في عيد الفصح(*)؟

باختصار، فقد تلقّى غوركي في صباه ثقافة دينية ضئيلة ومشوَّهة، نشير هنا إلى بعض القصص فيما يتعلق بذلك، منها إحراجه لجدته بأسألته الدينية التي ألجمت عن إجابتها(١)، واستنتاجه من أقوال جده المتدين أنّ ثمة قوّتين تجعلان الحياة صعبة: الله! والنَّاس(٢) إضافةً إلى هذا فقد كانت لغوركي أفكاره الدينية الخاصة؛ فنراه إزاء ابتهالات جدته الساذجة، ومُخاطبتها العفوية للإله التي تصل حد الغباء يفترض أنَّ لجدته إلهاً يختلف عن ذلك الذي لجده، وأعتقد أنَّ هذا الفهم الغريب للأُمور أتاه تالياً فأثَّر في كتابته عن هذه المرحلة المُبكرة من عمره، هذا التفكير كان منشؤه افتقاد غوركي للقدرة على تفسير "إنَّ الله خلق آدم على صورته" واضطراب النَّاس حول هذا المقولة التي ترددها الكنيسة، وثبت لغوركي



أنّ ما يصدر عن النّاس يصدر عن الله. فإذا اختلف ما يصدر عنهم، تتعدد الآلهة عندئذ. فلا بد من إله طيب يُمثله إله جدته، وآخر شرير منتقم. لم يتوانَ غوركي عن التنكيل بأتباعه كجده - الذي كان يُسيء أحياناً مُعاملته - حين مزّق له تقويم القديسين. ولم يُكلف غوركي نفسه عناء سؤال المتدينين عن معنى هذه المقولة، بل اكتفى بحيرة البسطاء اللاهبة وكلامهم المُشكك: فهو يُحبُّهم!

كان غوركي يُحب المكثرين - إذا استثنينا الجد - من القراءة، ويصفهم أطول من غيرهم، كالسيد "هذا رائع"، وزوجة الخياط، والملكة مارغو، وغيرهم. لذلك فقد أُعجب بسيرة الطلاب المناضلين على حد تعبيره. وإذا أخذنا بالحسبان فضول غوركي، وشغفه بتعلم كل جديد، ومخالطة النّاس، فقد شكّلت الرحلات التي كان يُمضيها إلى مخابئ الطلاب السرية، والاستماع إلى كلام قد لا يفهم كثيراً منه، تجربة مثيرة له. ولّدت لديه حُبّاً لهؤلاء القوم، وتقديساً لما يعتقدونه. لكن الحدث الأكبر الذي أثّر في وجهة غوركي الجديدة - على الأقل من وجهة نظري - كان يكمن في تداعيات محاولة

انتحاره الفاشلة، التي تدل على ضعف في الإيمان الذي ينهى عن ذلك، حيث لم تتمكن رصاصة ما من دخول قلبه، واكتفت باستقرارها في الصدر. عادةً ما يتأثّر النّاس بالشخص الذي يمد لهم يد العون في الأوقات الصعبة، وكلما كان الموقف صعباً، كان التأثّر أكبر، فكيف إذا مُدَّتْ يد العون في موقف كالانتحار. وهكذا تأثّر غوركي بروماس مُعلمه الجديد الأوكراني، يحدّثنا غوركي عن روماس: "بدا لي أنّه أرادني أن أتحقق تماماً أنَّ مكاني إلى جانبه، وبدا لي أنني لم أكن اختبرت مثل هذه الفرحة العارمة من الرفقة من قبل. فمنذ محاولتي الانتحار فقدتُ شيئاً من احترامي لنفسي، وجعلت أعتبر أني مخلوق فارغ عديم القيمة، وطغى علي شعورٌ بالذنب، وشعرت بالخجل من الحياة. ولا بُدَّ أنَّ روماس فهم ذلك، ففتح أمامي، في بساطة إنسانية، باب حياته، وأخذ بيدي يُعيدُ توازني، ذلك يوم لن أنساه"(٣). وهكذا عاش غوركي متأثرا بموقف روماس النبيل معه إبان محنته، عاش فترة من الزمن يرعاه فيها أوكراني ثوري، هرطوقي على حد تعبير الفلاحين هناك، لا يزور الكنيسة، ويبدي اهتماماً عجيباً بالكتب. الجانب الأكثر أهميَّةً لدى غوركي الذي أمكن من تغلغل صفات روماس الأخرى فيه.

وقد يسأل أحدهم: "فماذا عن المؤمنين؟ ألم يلتق غوركي أحدهم؟". الجواب طبعاً، ولكن القدر هنا لعب دوره أيضاً، إذ كانت الغالبية من أولئك المؤمنين بالله سيئي الطباع - من وجهة نظر غوركي -. وفي أولهم جده القاسي المخيف، وحارس الكنيسة الذي ظنه سيوقع به ويشي به إلى رب عمله، وشعوره بالخديعة بعد اعترافه للأب دوريميونيت، وما كان يراه من تصرف الشباب الفاحش تجاه الفتيات أثناء الصلاة، الأمر الذي دفع روماس إلى قوله: "الناس هنا لا يختفي الإيمان من قلوبهم، لا كما في أكرانيا، قد يكون ذلك شيئاً حسناً، فهم يستطيعون التحرر من الدين بسهولة! وهو (أي الدين) إجحاف أشد تهلكة"(٤). ونصير تولستوي الذي كان يأكل الكرز والعنب، ويحب أختين في آن. ولقد كان غوركي شديد التأثر بما يصدر عن النّاس، نذكر لا على سبيل الحصر، إقدامه على الانتحار بعد رؤيته لمعلم الموسيقى يسرقه، لذلك فنماذج المؤمنين القاتمة هذه ظلت ماثلةً له شيئاً بشعاً، ولنتذكر أن غوركي كان يعرف أعلى درجات البؤس حق المعرفة: "لم أكن أحب القمر، كان فيه شيءٌ حزين، كنت أشبّه بالكلب، تعيساً تحت ضيائه"(٥) هذا البؤس

ولدته لحظة تعيسة. فكيف بهذا العمر الممتد الذي حوى تلك الشخصيات البشعة؟ لقد كان غوركي بعد هذا مستعداً لتقبل أي شيء يدلل على الإلحاد ولو كان سخيفاً. كما نقل اعترافات ياكوف(٦). وكما حدثنا عن أستاذ الرياضيات: "ما أسرع أن اكتشفت أن هذا الرجل كان يحاول إثبات وجود الله عن طريق الرياضيات العليا. ومات. على أية حال. قبل أن يحقق غايته"(٧).

ونحن نسأل غوركي: هل يحتاج النهار إلى دليل؟ وهل محاولة فاشلة واحدة تقف مانعا للإيمان رغم كثرة الدلائل ـ والكون كله دلائل ـ؟ ومن هو الرجل؟ وهل هو على درجة عالية من العلم؟ وهل يختفي الرقم واحد من الوجود ليصير شيئاً آخر؟ لندع عنا جدل الموتى فقد رحلوا. وفي ظل هذه الأوساط من اللاإيمان كوّن غوركي نظرته المتشائمة عن المتدينين فقال واصفا سكان كراسينو فيديوفو بعد طردهم لهم: "أما حين يجتمعون سوية. في مجالس القرية أو الحانة على ضفاف النهر. فهم يطرحون كل صفاتهم الحميدة. ويتلفعون كالرهبان. بثياب الأكاذيب والنفاق.."(٨).

حاول غوركي أن يُعوِّض إهماله للجانب الرُّوحي بهواية القراءة وتقديسه لها. فنراه يمتدح الكتب الروسية بجنون. ولكن المظاهر الدينية تلاحقه في هذا الامتداح أيضا إذ يقول: "كُنتُ أُحب قراءة الكُتب الروسية. أتلمَّس فيها دائماً روحاً حزينة مألوفة. كأن أجراس الصوم الكبير توارت بين صفحاتها. فلا أكاد أفتح كتاباً حتَّى تشرع تدق دقاتها (أي الأجراس) في بطء وهدوء"(٩). وقال أيضاً: "أمَّا ديكنز وولتر سكوت فقد سيطرا على مشاعري. قرأت كتب هذين المؤلفين في سرور عظيم مرَّتين أو ثلاثة. وذكرتني كتبهما بصلاة احتفالية أقيمت في كنيسة فخمة..."(١٠). كما حاول غوركي التعويض عن الدين بانخراطه في العمل. ذلك النشاط الإنساني الشامل. ولكن الرموز الدينية ظلت تلاحقه هناك أيضاً فيقول: "أنا أيضاً أمسكت الأكياس وجررتها وقذفتها وخُيِّل إلي... أن أولئك النَّاس (عمَّال التحميل والتنزيل) قادرون لو وضعوا أيديهم على أبراج الكنائس ومآذن المساجد. أن يحملوا المدينة بأسرها من قواعدها إلى المكان الذي يطيب لهم"(١١). كذلك فقد رأى غوركي في اجتماعات الطلبة السرية ـ وكانوا جماعةً من الثوريين ـ فرصةً للتواصل الاجتماعي. واللذة الروحية الخفية. فعبر عن ذلك بشيء من الروحانية الدينية فقد قال عن تجربته تلك: "هزَّتني رعشةٌ شديدة بعثها فيَّ ذلك الجو من الأحاجي ـ هذا

الذي يعد أسمى من جميع الأشعار وأكثر فتنة. أحسستُ أني مؤمن حقيقي، يصلي أولى صلاته في محراب إيمانه. وتذكَّرت السراديب والمسيحيين الأوائل...."(١٢) من هذه النَّصوص الآنفة، يتبين لنا مدى الصراع الذي عايشه غوركي بين الشك واليقين. شخصيا، أعتقد أنَّ غوركي كان مؤمناً، خصوصاً إذا قرأنا اعترافه: "كنت أحب أن أغدو إلى الكنيسة... كان قلبي الصبياني، وقد غدت الجروح خدنه الأليف وصبغته قسوة الحياة، تغسله هنا أحلام مبهمة، لكنها جارفة قوية"(١٣) لكنَّه ظل يكابر على نفسه، ويلتقط أي شيء يسوِّغ به موقفه ذاك من الدين، كقصة أستاذ الرياضيات ذلك، وربما هو غوركي ينطق لنا بلسان بطل روايته الأم بافل ليلخص لنا موقفه، ويدافع عن نفسه: "أنا لم أتحدث عن الله الطيب الرحيم الذي تؤمنين به (الكلام هنا موجه للأم)، بل عن ذلك الإله الذي يستعمله الكهنة مثل العصا لتخويفنا، والذي يحاولون باسمه جعل الشعب بأسره ينحني أمام إرادة البعض الشريرة"(١٤)، وهنا يبرز خيط من احترام المقدسات، في الوقت الذي يتبين فيه أن قضية التجرؤ على الدين ما هي إلا وسيلة للتمسك بالعدل الاجتماعي في وجه المتظاهرين بالإيمان، هذا العدل الذي هو الشغل الشاغل عن كل قضية من وجهة نظر غوركي. ويتبين لنا أيضاً أن دعوى ترك الدين أمرٌ قد تقدر عليه ألسنة الملحدين، أمَّا قلوبهم وعقولهم اللاواعية، فلا؛ ذلك أنَّ الدين جزء أصيل من كينونة الإنسان وإن زعم خلاف هذا.

ملاحظة: اعتمدنا في النصوص الواردة على "مكسيم غوركي المؤلفات المختارة" المجلد الثاني، ترجمة المحامي سهيل أيوب، دار رادوغا ـ موسكو، وهذا المجلد يحتوي على٧٨٨ صفحة مقسومة بين كتابي "بين الناس" وأشرنا له بالحرف"أ" ثم "جامعياتي" وأشرنا له بالحرف"ب"، وقد يكون في بعضها قليلٌ من التصرف

(*) أ١٣١ (١) أ ٧٧ (٢) أ ١٩٤ (٣) ب ٧٠٦ (٤) ب ٧٢٩ (٥) ب٧٣٠ (٦) ب٦٦٤ (٧) ب ٥٧٤ (٨)ب ٧٧٦ (٩) أ٤٤٢ (١٠) أ ٤٤٣ (١١) ب٥٩١ (١٢) ب ٦٥٤ (١٣) أ١١٨ (١٤) من رواية الأم الجزء الأول ٨٩ هذا وأنوه أن بطل الرواية بافل يُمثل آراء غوركي بصراحة، أمَّا شخصية الأم فتمثل وجهة نظر الشعب فلاحين وعمالاً بسطاء، وأمَّا شخصية صديق بافل أندريه فيمثل نسيجاً من آراء معلم غوركي روماس، ومعلمه الثاني لينين، وقد فصلت القول في تأثير حياة غوركي على روايته الأم، وعلى شخصياتها في بحث مستقل.

دور المرأة في الحراك السياسي



إيـــناس مسلّم*

دور المرأة في المجتمع لا يحتمل أن نغفل عنه في أي زمنٍ كان، سواء أكانت في الحقل تزرع وتحصد أم في المصنع تجتهد ثماني عشرة ساعة من العمل، أو موظفة في شركة ما في عصرنا الحالي، بالإضافة طبعا إلى دورها أماً وربّة بيت. لماذا إذن حين يتعلق الأمر بمشاركتها السياسية يتخاذل المجتمع عن السماح لها بإبداء الرأي؟

التقينا بالسيدة سهام موسى الحاصلة على شهادة الماجستير في الإرشاد النفسي وتجهز حاليا رسالة الدكتوراه في الاختصاص ذاته، وبدأنا حوارنا التالي:

* طالبة جامعية/عضو هيئة التحرير

ما سبب ضعف مشاركة المرأة في الحراك السياسي على الصعيد المحلي؟

الأنثى العربية بشكل عام برغم حبها ورغبتها بالمشاركة إلا أنها مقيدة سواء من قبل عائلتها أو المجتمع أو حتى نفسها.

ما الذي يقيدها؟

يقيدها خوفها من مواجهة أهلها إذا ما أشهرت رغبتها في النزول إلى الشارع والمشاركة. وقد يكون هذا سبب من أسباب عديدة إلا أنه الأكثر تأثيراً على مشاركتها من عدمها.

كيف يمكنها أن تتغلب على ذلك الخوف؟

هذا النوع من الخوف لا يمكن أن تتجاوزه الفتاة إلا بالمواجهة والتحدي لذلك عليها هنا مواجهة أهلها قبل مواجهة الشارع بمطالبها.

ما هي أسباب خوف الأهل؟

خوف الأهل هنا نابع من ثقافة المجتمع. المجتمع الشرقي تحدُّه مفاهيم متعلقة بالمرأة مثل تحديد الأدوار حيث يرى أن دورها يبدأ وينتهي في المطبخ. فيحرِّم عليها أدواراً أخرى مهمة وتقوم بها الأنثى بشكل أساسي في بناء المجتمع. مفهوم آخر يمكن أن يقيد مشاركة المرأة هو ثقافة العيب حيث تبنى الكثير من الأحكام المطلقة جزافا بناءً على هذا المفهوم. حيث ينتج المنع عن المشاركة من باب عدم السماح بالاختلاط الوارد في المسيرات. أو لأنه لو رأى أحدهم ابنة أو أخت فلان مشاركة بمسيرة فإن ذلك يطعن بشرف عائلتها.

متى يكون المنع من الفتاة نفسها؟

بعض الإناث تتربى بعيداً عن الأجواء السياسية. مجرد مشاهدة بسيطة لقناة إخبارية قد تكون مزعجة بالنسبة لها ومن هنا يكون المنع من نفسها إيماناً منها بأن المشاركة السياسية ليست دورها. حيث تقول بقرارة نفسها "لماذا أشارك؟".

ما أهم الأسباب الأخرى؟

يمكن أن يكون لنوعية الأم الأثر الأكبر. فإن كانت الأم ثورية يكون الأبناء ثوريين. فمن تقوم بالرعاية أولا وأخيراً هي الأنثى بدورها كأم. بالتالي هي صاحبة الأثر الأكبر على أبنائها بما غذته إياهم حيث أن تأثيرها أقوى من تأثير الأب.

ما سبب أهمية مشاركة المرأة في الحراك السياسي؟

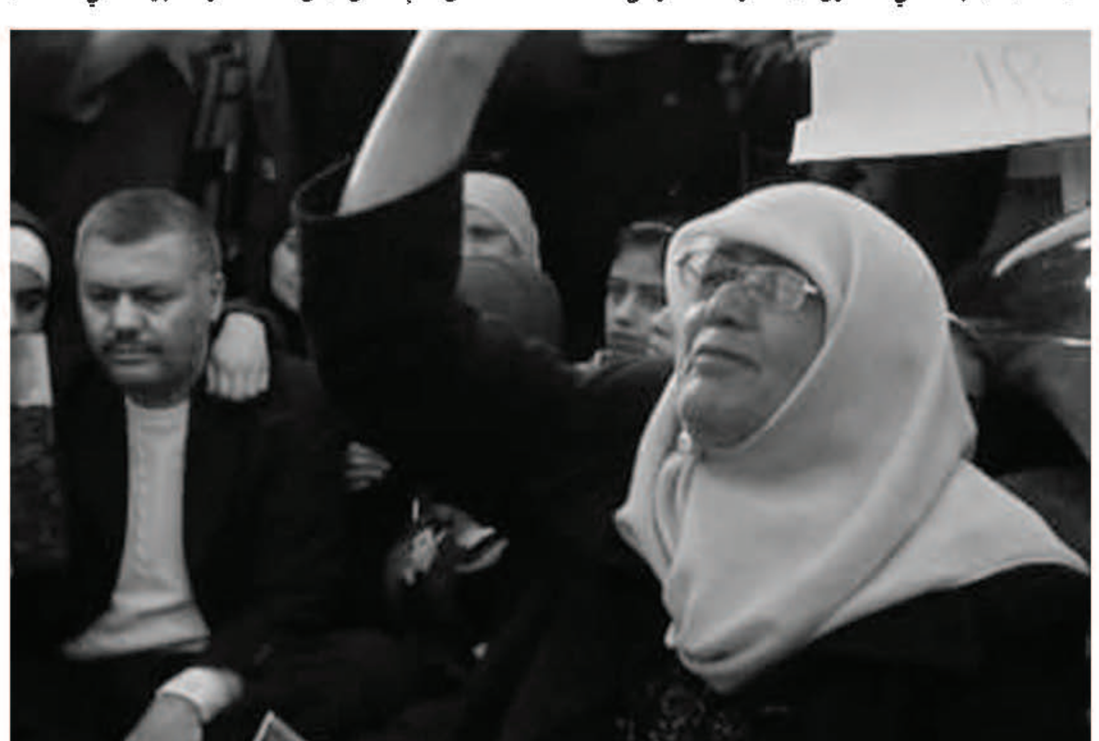
القرارات السياسية سواء الناجمة عن الحراك أو عن غيره تؤثر في حياة المرأة والرجل في المجتمع. بالتالي وجودها بجانبه في الشارع يجعلها من أسباب التأثير على القرار السياسي وربما من أصحابه ووجودها يجعل المجتمع متكاملاً لا يلغي نصفه النصف الآخر. ويعترف الرجل بدور المرأة كأكثر من مجرد دور داعم أو مساند بل كدور رئيسي.

ما الفرق بين المرأة المتعلمة والعاملة وغير المتعلمة والعاملة؟

المرأة المتعلمة أسرع تحركاً واستيعاباً للأحداث وتملك حسّاً تحليلياً أكبر من نظيرتها غير المتعلمة. بالتالي تكون مشاركة الأولى ذات نوعية أفضل وتأثير أقوى من باب أنها أكثر عرضة للتواصل مع المجتمع وتلقي الدعوات للمشاركة وإعطاء قدر من الأهمية لرأيها. ويكون وعي المتعلمة بدورها المجتمعي أكبر من غير المتعلمة.

ما دور المجتمع في تحفيز المشاركة السياسية للمرأة؟

في عقل كل إنسان جزء يسمى البنية المعرفية. المفاهيم الخاطئة التي تفرضها ثقافة المجتمع تشوه هذه البنية بما يسمى علميّا " التشويه المعرفي". يتصرف القائم في ذلك المجتمع على أساسها مثلا عبارة "لا يفل الحديد إلا الحديد" تحمل قدراً من المفاهيم السلبية التي تزرع في عقل الإنسان من عنف وسلبية في التعامل



البشري. أيضاً كما ذكرنا افتراض أن المشاركات بالسياسة سيئات الأخلاق وأن المشاركة السياسية تسيء لشرف المرأة. بعض الإناث يحملن هذه التشوهات من المجتمع وتبني عليها معتقداتهن. ويكوّن لديهن فكراً ازدواجياً بين طموحها ورغبتها بالمشاركة وبين استنكارها لحقها بالمشاركة.

ماذا يمكننا أن نرى على الصعيد السياسي ونعتبره نجاحاً للناشطات السياسيات؟

أن نرى امرأة أردنية تصل إلى مجلس النواب دون كوتا.

ما تأثير الشارع على المشاركة سياسياً؟

في أول مشاركة سواء لفتاة أو شاب سيكون الحماس هو المسيطر على عقلها أو عقله. بعد ذلك وفور الوصول إلى مكان المشاركة وتقييم الوضع سيبدأ إحساس الخوف بالتسلل إلى نفسه. هذا الخوف يكون طبيعياً في حال استمرار المشاركة ويصبح غير طبيعي عندما يمنع المشارك من تكرار التجربة. يمكن أن يكون للشارع تأثيرات سلبية أخرى مبرراتها:

١.رفض المجتمع رؤية المرأة كناشطة سياسية.

٢.عدم امتلاك المرأة القدرة على التعامل مع النقد عند تلقيه في بعض الأحيان.

٣.حدوث اعتداءات لفظية أو جسدية موجهة خصيصا للمرأة كأسلوب ضغط.

٤.عدم احترام المرأة في المناسبات المشابهة مما يضعف إيمانها وثقتها بنفسها وبالتالي احترامها لذاتها.

على الصعيد الشخصي، هل تشاركين بالحراك السياسي؟

لا أشارك لعدم وجود فرصة مناسبة. إلا أنني أقوم بما أقدر عليه عند إتاحة الفرصة. مثلا أثناء تدريسي الرسم كنت أطرح أفكاراً سياسية في مخيلة طالباتي عبر الرسومات. وكنّا نحث الطلاب على التحدث بحريّة والرسم بحريّة برغم منع المؤسسة التي كنت أعمل بها حينها للتطرق إلى المواضيع السياسية. ثم إنني أشارك عندما تعنيني القضية بشكل شخصي سواء على الصعيد الوظيفي أو الأكاديمي وأجد الوقت للمشاركة.

التقينا بعد ذلك أسماء عواد مسؤولة اللجنة الإعلامية في رابطة المرأة الأردنية، وسألناها عن



أهمية مشاركة المرأة في الحراك السياسي؟

مشاركة المرأة في الحراك السياسي مهمة لأنه لا يمكن فصل قضايا المرأة عن الرجل لذلك النضال واجب من كليهما ومهم أكثر بالنسبة لها للحصول على المواطنة الكاملة دون تمييز بالتالي في الحصول على حقوقها الكاملة.

التقينا كذلك برضا استيتيه وهو طالب ومشارك دائم بالحراك وسألناه ما شعوره لو اكتشف أن إحدى نساء عائلته مشاركة بالحراك؟

سأكون أكثر من سعيد بذلك لأنني أصلا أحثهن على المشاركة. فبرأيي المرأة لا يجب فقط أن تسعى إلى الحصول على المساواة مع الرجل بل على حقوق أكثر تميزاً من حقوق الرجل وذلك لعظم دورها في المجتمع وواجبها الذي أعتبره أكبر وأهم من دور الرجل.

في حين تقول ديمة جرادات، طالبة في الجامعة الأردنية، أنها لا تشارك سياسيّاً لأنها أصلا لا تعرف سبب وجود حراك سياسي في الأردن ولا تهمها المشاركة على الصعيد الشخصي.
تجدر الإشارة إلا أنه في لقاء قديم مع الناشطة السياسية المصرية ميريان أذكر قولها "على الفتاة القيام بمواجهتين حتى تتمكن من المشاركة في الحراك السياسي وصنع القرار، تكون الأولى عند قيامها بمواجهة أهلها وحتى خروجها من باب البيت والثانية فور وصولها الشارع".

ختاماً تخوف الأهل من المضايقات التي يمكن أن تتعرض لها بناتهن، وتخوفهم من الضغوطات والملاحقات الأمنية لفتيات وعائلاتهن مبرر إلا أنه لا يمكن أن يكون سبباً في منع الفتيات من المشاركة بل يجب أن يكون حافزاً أقوى للنزول إلى الشارع والمطالبة بحقوق المرأة التي تكفل عدم ملاحقتها أمنيّاً إذا ما عبرت عن رأيها. وحتى نصل إلى امرأة تؤدي دورها المجتمعي بمهارة فائقة علينا أن نخلق وعيا يمنح المرأة حرية وحقا وقدرة كافية على المساهمة في صنع القرار.



لارا عليان صوت شفاف.. يصدح مع دندنات العود وإيقاع الرّق

حاورها عثمان مشاورة *

شابة أردنية، كأنها عصفورة كناري عندما يصدح صوتها بالغناء، له عذوبة منسابة ورقراقة، ينشرُ جناحيه ويأخذك بحنينية عالية، ومن ياقتك رغما عنك، إلى آماد متناهية وصامتة، ليغمرك سديمٌ شفافٌ من السكينة الدافئة، ويتراقصُ الفرح في عينيك، مع دندنات العود وإيقاع الرّق، رقصاتٍ هادئة مسترسلة تُنير العتمة الخيمة عندما تناجي متلهفة وبإحساسٍ عالٍ، خوفا من أن يطول طريقها: "عمي يا أبو الفانوس... نوّرلي هالعتمة..." أو إن هي صدحت مثل بلبلٍ رشيق يعرف كيف وماذا يُغني: "لينا ويا لينا.. إبرة وخيط عيرينا... لينا ويا لينا ويا نجمة طارت فينا" أو هفا إليكَ صوتها موجعا من صدقه، يملؤك بندب القشعريرة الصغيرة حينما تغني درويش: "كمقابرالشهداء... صمتكِ... والطريقُ إلى امتداد.." وكأي أملٍ مشرقٍ في الصدر تواصل

* طالب جامعي

الأوف بعد الأوف: "ع الأوف مشعل..ماني تبليتو.. هو اللي تبلاني.. "

تختار لارا عليان، أغنياتها من التراثيات الأردنية والفلسطينية والشامية عموما، بعناية فائقة، حريصة كل الحرص ألا يخيب ظن الجمهور الكبير والمحب، بها ولو مرة واحدة، شاركت مؤخرا بمهرجان المقام الدولي في أذربيجان، وحصلت مع فرقة شرق على المركز الثالث عالميا بين دول مخضرمة في مجال غناء المقام وأدائه، رائعة وبهية بطلتها، ملتزمة بأدائها الراقي، تمضي في طريقها بخطى ثابتة ومدروسة كما الكبار، وبهذا اللقاء الشّيق والرائع، نُسلط الضوء على جوانب من حياتها :

• لارا عليان، سأبدأ معك بالسؤال الوجودي، من أنتِ؟

بداية دعني أقول بأنه من الصعوبة بمكان أن يُعرِّف الإنسان بنفسه، ربما لأننا لسنا معتادين على ذلك، لكن من الممكن أن أقول أشياءً بسيطة عن نفسي، وهي أنني إنسانة مقبلة على الحياة بما فيها من جمال، أُحب تجربة كل ما هو جديد، متفائلة، أعشق الموسيقى والغناء، وبخاصة موسيقى وفن الزمن الجميل.

تستطيع القول أيضا إنني فتاة تشغلها هموم أمتنا العربية بشكل كبير، هذه الهواجس تُشكل جزءاً كبيرا من حياتي، وهذا بدوره ينعكس بشكل ملحوظ على طريقة عيشي وممارساتي اليومية، أشعر بمسؤولية كبيرة تقع على عاتقي من خلال ضرورة توظيف صوتي لخدمة قضايا الأمة العربية بشكل أساسي والتذكير بمناسبات معينة تخص الأمة وتعريفها للأجيال الجديدة، ليس فقط داخل إطار عربي وإنما عالمي إن استطعت، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أيضا، أعتقد أن دورا كبيرا يقع على عاتقي في الحفاظ على التراث العربي والفلسطيني بشكل خاص، بالإضافة إلى أهمية إعادة إحياء التراث العربي الكلاسيكي أيضا، فأنا معنية بكل ما ذكرت وكل ما هو إنساني مع التأكيد على ضرورة الاهتمام بالمضمون واللحن القوي والمميز.

• ماذا عن أيام المدرسة الأولى، لا أعتقد بأنكِ كنت طيلة الوقت، تجلسين متسمرة في مقعدك لتقول المعلمة صفقوا الآن للارا المهذبة، هل كنتِ شقية ومشاغبة، مقتنعة بأن صوتك جميل آنذاك، تصرخين بضجيجٍ عال في الممرات بين الصفوف، تواصلين اللعب والغناء وإزعاج الأطفال بالحارة، أم هادئة ومتأملة مثلما أنت عليه الآن، كيف إذن كانت لارا الطفلة؟

بصراحة لم أكن تلك الطفلة المشاغبة الشقية، لكني كنت أتمتع بشخصية قوية وقيادية تجذب الأطفال من حولي. ولطالما أحببت الغناء في طفولتي، وكنت أشارك في النشاطات المدرسية الموسيقية والغنائية بشكل دائم. كذلك كنت أحب الاستماع إلى أغاني فيروز وأم كلثوم بالإضافة إلى أغاني مارسيل خليفة وأميمة الخليل وأستمتع جدا بسماع أغانيها الصعبة. ومنذ طفولتي كنت حريصة على أن أغني للقدس وفلسطين من خلال الإذاعة المدرسية أو من خلال المشاركة في فعاليات ومسرحيات مختلفة.

حين شعر أهلي بأنني أمتلك موهبة الغناء قاموا بتشجيعي على ذلك ومدوا يد العون لي. ومذ دخولي الجامعة شجعوني أيضا على الالتحاق بكورال الجامعة بالإضافة إلى تعلم آلة العود، حيث التحقت في الأكاديمية الأردنية للموسيقى.

• في معظم ما تؤدين، تكون المنصة شبه معتمة، تجلسين وكأنكِ تحفة فنية، صامته بزيك التراثي، ضوء خافت وأسطوري يتسلل إلى وجوه العازفين وإليكِ أيضا، يبدأ الإيقاع، ينبعث الغناء بموجات سحرية صوب الجمهور المتلهّف، ما كل هذه الطقوس؟



المكونات الصامتة من حولك يجب أن تسهم أيضا في دعم إبداعك وما تريد توصيله للمتلقي، فكما الصوت له تأثيره كذلك الأشياء البصرية. وعندما تنسل الموسيقى بخفة نحو الجمهور، تكون الإضاءة الخافتة قد هيأتهم لذلك. وجودي بهيئة معينة فوق المنصة جزء من هذه المكونات. تفاعلي بصمتٍ وخشوع مع الموسيقى يحفظ

لها هيبتها. ويصهرني في الإحساس أكثر. وهذه الأجواء بشكل خاص تنسجم مع المضمون الموسيقي والغنائي الذي يتم تقديمه بحيث تتكامل هذه المكونات وتظهر بهذه الصورة. كانت الحياة فيما مضى بسيطة وأضواء البيوت خافتة تحت جنح الليل. وبينما الناس يتسامرون ينعكس ضوء القمر على وجوههم تماما مثلما نفعل الآن عندما نغني ذلك التراث المنبثق من ذلك الزمن الجميل. وأنا أفضل أن أغني في هذه الأجواء, بحيث ينعكس هذا على أدائي وتفاعلي.

• هناك قول صيني معروف: "إن كان معك رغيف خبز. فبع نصفه واشترِ وردة" وأعتقد بأن ذلك ينطبق أيضا على: بع نصفه واستمع لصوتٍ عذب. أو اشترِ, رغم أنها أغلى. تذكرة لحفلٍ موسيقي. وما إلى ذلك من المعنويات الرقيقة. لو كان معها ثمن نصف ذلك الرغيف. ماذا تشتري لارا؟

نعم الخبز وحده لا يكفي للحياة. وبصراحة كثيرة هي الأشياء التي ربما تحاول أن تضمها إلى حياتك الروحية. لكني ربما أشتري كلمات جميلة وأغنيها ألحانا عذبة. وورودا أيضا. يعني جملة من الأشياء المعنوية الرائعة.

• يقول أحد الموسيقيين, لا أذكر اسمه الآن, بأنه قبل أن يتعلم الموسيقي كان شريرا جدا. يركض خلف القطط ويلوِّحها من ذيلها أو يركلها إلى الأعلى وهي ترفرف. أما الآن فإن رأى فراشة عالقة بشباك عنكبوت. ربما بكى طويلا لأجلها. إلى أي مدى تشعر لارا. بأنها الآن مختلفة تماما عما كانت عليه قبل ذلك. ماذا أضاف الغناء والموسيقى للارا من أشياء جميلة علاوة على ما لديها؟

إنني أخاف القطط أصلا. لذلك لم أجرأ على اللحاق بها وركلها أو تلويحها. بصراحة لم تكن تختلف شخصيتي كثيرا عما هي عليه الآن, ولم تكن الموسيقى لتلقى عُشًّا هادئا في داخلي لولا وجوده أصلا. إن ما أضافته الموسيقى الجميلة والغناء الراقي. كان ينسجم مع شخصيتي من هدوء وسكينة و تأمل وقوة وتحدٍّ أيضا. لذلك استقرَّ في خلجي ورحت أعيشه كأي شيء فُطرت عليه.

• أعتقد أن البداية كانت مع كورال الجامعة الأردنية. وغنيت معها داخل الوطن وخارجه. في مهرجانات عربية ودولية مختلفة. حدث هذا قبل شرق. التي ولدتْ فيما بعد. وكنتِ من

المؤسسين، والمغنية الرئيسية فيها، وغنيتِ أيضا في فرق أُخرى مشابهة، أخبرينا عن تلك التجارب واحدة واحدة، وماذا تركت لديك من أشياء جميلة رافدة لمسيرتك في الغناء الملتزم والجميل؟

نعم كانت البداية الفعلية الناضجة مع كورال الجامعة الأردنية، غنيت فيه كثيرا وشاركت في حفلات داخل الأردن وخارجه، بصوتي المنفرد وضمن الكورال أيضا، عام 2002 بدأتُ، مع الأستاذ عمر عباد، بالتّعلم على آلة العود في الأكاديمية الأردنية للموسيقى، وشرعنا أنا وهو، منذ ذلك الوقت، بعمل حفلات فنية مشتركة، كانت البداية كما أذكر مع فرقة النغم الأصيل بقيادة الأستاذ عمر وما زلنا معها لغاية الآن، وضمن هذا السياق أود أن أشير إلى أن الفضل في معرفة العديد من أساسيات الموسيقى والمقامات الشرقية يعود إلى الأستاذ عباد.

في عام 2006 دعاني طارق الجندي للمشاركة في حفل موسيقي لمجموعة من الأصدقاء الموسيقيين، مهند عطاالله، ومعن السيد، مع عازف دينماركي لعمل أمسية موسيقية (صوفي جاز) في محترف رمال وكانت تجربة رائعة، طرحتُ بعدها فكرة تشكيل فرقة لتقديم المقطوعات الموسيقية والغنائية التراثية وإعادة توزيعها بطريقة لا تُخرجها من قالبها الأصلي، ومن هنا تشكّلت فرقة شرق عام 2006 شاركني في تأسيسها طارق الجندي، ومهند عطاالله، ومعن السيد وشيرين أبو ديل، بعد ذلك، نضجت الفكرة، وتمكنا بفضل الله من إنجاحها، حيث قمنا بعمل حفل افتتاح مميز جدا ولقي ترحيبا واسعا من قبل الجمهور، بعد ذلك ازداد عدد أعضاء الفرقة وتوسّعت حفلاتنا وشاركنا في عدد من الفعاليات و المهرجانات داخل الأردن وخارجه، وفيما بعد قمنا بإصدار الألبوم الأول للفرقة باسم (بين بين).

في عام 2008 حصلت على منحة بكالوريوس لدراسة الغناء الشرقي والعود في المعهد الوطني للموسيقى، إلا أنني أتممت دراسة فصل واحد فقط، ولم أستمر فيه.
في شهر 11 من عام 2010 حظيت بفرصة المشاركة مع مجموعة من الموسيقيين الرائعين وهم ناصر سلامة، ونزار روحانا، وميشيل روحانا، والعازف التركي محمد بيتماز، وذلك لتمثيل فلسطين في حفل فني أقيم في اسطنبول وكانت هذه المناسبة لدعم صمود أهلنا في قطاع غزة.

في نهاية عام 2010، بشهر كانون الثاني، شاركت في مهرجان حراس الذاكرة الذي تنظمه سنويا جمعية وفرقة الحنونة، وقد جمعتني أمسية لطيفة ورائقة مع الشاعر الرائع طلال حيدر، ولا أنكر أنها كانت تجربة أعتز بها كثيرا.

كذلك الأمر أقمت مع الأستاذ عمر عباد برعاية الأكاديمية الأردنية للموسيقى حفلا فنيا بعنوان "الأرض بتتكلم عربي" وذلك في مركز الحسين الثقافي وكانت هذه الحفلة هي أول تجربة كبيرة لي، حيث إنني أقمت العديد من الحفلات وفي أماكن مختلفة لكن هذه الحفلة كانت الأ كبر والأكثر حضورا.

مؤخرا أقمت مع طارق الجندي ومجموعة متميزة من الموسيقيين حفلتين للأطفال كان الهدف منها إحياء الأغاني القديمة والمميزة التي كانت تغنى للأطفال بالإضافة إلى أغاني تتناسب مضمونا مع هذا الحفل وكان الهدف تعريف الجيل الجديد بهذه الأغاني الغنية بمضمونها ولحنها والتي تختلف عن الأغاني التجارية التي تنتشر حاليا.

• اخترتِ أغانيك بعناية من التراث الفلسطيني والأردني والشامي عموما، تراث المنطقة ككل، ووصلتِ بها إلى قلب مستمعيك بكل جدارة، لكن بخامة مثل خامة صوتك، وهذا الأداء الجيد، الم تقلْ لارا بأنه نعم قد حان الوقت، وتُفكر للتفرغ لغناء خاص بها ومميز؟

نعم تستطيع أن تقول بأن الوقت قد حان، ولا مزيد من التأني، وأنا أعمل على هذا الموضوع حاليا وفي حالة بحث عن كلمات وألحان جيدة، لكن بطبيعة الحال، عليك أن تترك التفاحة لكي تنضج، فأنا أبحث بعناية وروية دون أن أتسرع أبدا، الفنان لديه جمهور ينتظر منه النوعية وليس الكم، وعليّ أن أكون على قدر كبير من المسؤولية والالتزام تجاه الجمهور المحب للارا عليان، لكن هناك بعض الأغاني الخاصة بي، مثل أغنية مقابر الشهداء، كلماتها من قصيدة المناديل للشاعر الراحل محمود درويش وألحان طارق الجندي – فرقة شرق- وقد تم تسجيلها في الألبوم الخاص بالفرقة، وأغنية موال أيضا هي قصيدة للراحل محمود درويش وألحان الفنان عمر عباد، لم يتم تسجيلها بعد، لكنني قمت بغنائها في حفل الأرض بتتكلم عربي وانتشرت من قبل المهتمين والمتابعين على موقعي يوتيوب وفيس بوك.

• أعتقد جازما كما يعتقد غيري، بأن البيئة، سواء الطبيعة من حولنا بمناخاتها وطقوسها أو البيئة ككل من الأشخاص والمعطيات من حولنا، تؤثر في كيان الشخص وفي فنه وأدائه الإبداعي على وجه خاص، بصراحة، هل حدث وشعرت، بينك وبين نفسك، بأنك يجب أن تكوني في بيئة مختلفة، لأن الأشياء من حولك تخذلك تماما، ولا أحد من حولك يأبه فعليا بما تقدمين؟

أتفق معك تماما في الدور الكبير والتأثير العميق للبيئة المحيطة في حياة كل شخص منا، لكنني على العكس تماما، أحب هذه البيئة من حولي، ولطالما فعلت. ومن أهم الأشياء التي أعتبر نفسي محظوظة بها هو البيت الذي نشأت فيه بكل تفاصيله وأشيائه، أحمد الله أنهم يأبهون ويُقيّمون ويشجّعون أيضا. ومن ناحية الذوق الفني العام للأسرة، فقد تربينا على الموسيقى والأغاني الراقية التي كنا نستمع إليها، فيروز أم كلثوم,عبد الوهاب سيد درويش, الشيخ إمام وغيرهم الكثير من رواد الفن الأصيل. ومن ناحية وطنية تربينا على الانتماء لقضايا الأمة العربية والانشغال بهمومها, ومحاولة المشاركة والتغيير. وأحمد الله على أنني ولدت في هذا البيت. فوالدي له تأثير كبير على شخصيتي،



فهو باحث وكاتب دائم الانشغال بقضايا أمتنا وورثنا هذا الأمر عنه.

• في سياق السؤال السابق، ما هو فصلك المحبب يا لارا، وكيف تشعرين حيال كل جو من الأجواء الشتائية، الصيفية وبقية المواسم؟

الصيف يعني لي الحياة والتفاؤل؛ فالسنابل تنضجُ فيه، والقمر واضحٌ وجليٌّ في السماء، وهو أكثر فصل أحبه، أشعر به بالتجدد والحيوية وقمة العطاء، كذلك أحب فصل الشتاء، لكن، لمدة أسبوع واحد فقط، وهذا الأسبوع كافٍ لملء الشغف في داخلي، وهو موسم الخير وتساقط الأمطار، وعلى صعيد الموسيقى، فإن فصلي الشتاء والخريف مرتبطان بأغاني فيروز وموسيقى الرحابنة، تكاد تجمع على أن الكل يستمع لفيروز في الصباحات الشتائية مع رشفات القهوة، وهما فصلان يتركان أثرا كبيراً وجميلاً في نفسي، وأجواء الشتاء البنفسجية تجعلني أشعر به كم هو فصلٌ للسكينة والتأمل والهدوء، ونقرات المطر على النافذة تُبدد الوحدة، وإيقاعها ساحر، بالإضافة إلى أن فصل الشتاء بكل طبيعته وتفاصيله هو وقتٌ جيد لمراجعة الذات، وأخذ قرارات جديدة، فالأشجار تخلع أوراقها القديمة لتُورق أخرى أكثر نضارةً فيما بعد، ولكي يُغلق الإنسان صفحات معينة و يبدأ بملء صفحات أخرى.

• في أغلب الأمسيات التي حضرتُها، وغنيتِ بها وتألقتِ، كانت شريحة كبيرة جدا من جمهورك مكونة من الشباب، وأي شباب، مثقفين وجامعيين ومتذوقين جيدين وليسوا من جمهور "بوس الواو" وما إلى ذلك، وأحيانا كثيرة تنفذ التذاكر وتُغلق الأبواب في وجوههم وأنوفهم منعا للزحام، وحدث ذلك معي ولم أدخل في إحدى المرات، وزوَّرت تذكرة ولم تنطل على الحارس، إذن كيف ترين، وأنت المغنية الشابة الجميلة الملتزمة، الذوق العام للشباب الأردني، وما الذي برأيك يدفعهم للحضور والتزاحم بالأكتاف هكذا، رغم خلو المسرح من الصخب والمرح والرقص وبقية الأشياء؟

في البداية أشكرك على إصرارك لحضور الحفل وهذا شرف كبير لنا، هو فعلا كما أشرت جمهور نوعي، ولما كان جمهور الأغاني الهابطة كثيرا، فإن جمهورا قليلا من المتذوقين كاف بدرجة كبيرة، مع ذلك كان جمهورنا جيدا جدا، وفي غاية التذوق الفني الجميل والراقي، وأنا مؤمنة، وكما لمستُ ذلك في حفلاتنا، بوجود جيل من الشباب الواعي جدا والمتذوق للفن الأصيل، بالإضافة إلى أنه منتم إلى قضايا أمته.

• الإبداع، يا لارا، كما تعلمين نبتةُ زينة نادرة وحسَّاسة، يحتاج إلى عناية حثيثة، ودعم مادي من القائمين على الثقافة والفنون، وسبل ميسرة للمضي به قدما نحو التميز. لذلك دعيني أسالك السؤال التالي: هل أنت متفرغة للغناء؟ أم أنكِ، للأسف الشديد، وبطبيعة الحال لن تعيشي هكذا من غير دخْل، تحتاجين للعمل ضمن تخصصك الذي درسته في الجامعة الأردنية، وبعد أن تعودي منه مساءً مرهقة تُدندنين بعض الألحان لتتدربي عليها من أجل الأمسيات؟

لا أنا لست متفرغة للغناء فقط, فأنا أعمل في إطار تخصصي الذي تخرجت منه من الجامعة الأردنية، أخصائية اجتماعية، ومؤخرا في مجال تنسيق المشاريع في اتحاد المرأة الأردنية، أحب تخصصي وعملي، أحاول تنظيم وقتي بحيث أستطيع التدرب على بعض الألحان وتمرين صوتي.وأحيانا كثيرة أدندن في بيئة العمل لكن دون أن أزعج زميلاتي بطبيعة الحال، مع أنهن يطلبن مني من وقت لآخر وبكل شغف أن أغني لهن هذه الأغنية أو تلك، ولا أُنكر الدعم الكبير الذي أتلقاه من إدارتي وزملائي في العمل على الصعيد الفني، فهم يعتبرونه أولوية لي، مع محاولاتي واجتهادي أن أوفق بين عملي وفني، وأنا محظوظة بهم، وبالتأكيد ليس سهلا تقسيم الوقت بين الأشياء المهمة، فالعمل مهم بالنسبة لي، والتدريب وتمرين الصوت مهم أيضا، بالتالي لكي تنجز شيء ما على أكمل وجه عليك أن تبذل مجهودا مضاعفا.

• ما هي تلك الجائزة التي حصلتْ عليها شرق في مهرجان المقام الدولي، المقام مؤخرا في أذربيجان، هل كنتِ ضمن الفرقة وغنيتِ مقامات جيدة؟

نعم حصلنا، فرقة شرق، على الجائزة البرونزية في الغناء ضمن مهرجان المقام الدولي في باكو، الذي كان محط مشاركة العديد من الفرق القوية جدا التي لها تاريخ جيد في غناء المقام من مختلف الدول، شاركت أنا ومهند عطاالله من خلال فرقة شرق في هذه المسابقة، قمنا بغناء بعض المقطوعات العربية والمقامات الشرقية وأعتقد، دون أن أبالغ في الإطراء، بأننا قمنا بأداءٍ جيد جدا، ونيلُنا للمرتبة الثالثة خيرٌ دليل على ذلك.

• كيف كانت المشاركة، من رشحكم، ومن دعمكم للذهاب إلى هناك، وكيف كانت لجان التحكيم، خصوصا أن دولا لها باع طويل في غناء المقام مثل الهند وتركيا وإيران... وغيرها من الدول الأسيوية كانت ضمن المشاركين فيما أعتقد. هل كانت الأمور صعبة بعض الشي، احكي لنا الحكاية إذن؟

في الواقع لقد تمّ ترشيحنا من قبل وزراة الثقافة الأردنية عن طريق الفنان همام عيد. وتكلفت إدارة المهرجان في أذربيجان بكافة الأمور، ولم يكن خافيا على أحد بأن المهرجان قد تميّز بالتنظيم المتقن والملحوظ.

أما لجنة التحكيم، تكونت من مجموعة من الفنانين العمالقة في مجال الغناء والموسيقى من أذربيجان و تركيا و إيران وأمريكا...الخ

والمشاركون كانوا من دول مختلفة لها باع طويل في الغناء، تلك الدول التي ذكرتها آنفا، وغيرها العديد. بالتأكيد كان تحديا صعبا، لكننا استطعنا إثبات وجودنا بقوةٍ بين الفرق المشاركة وتركنا بصمة مهمة جدا، وبان هذا من خلال ردود الفعل من قبل لجنة التحكيم والمشاركين وحتى الجمهور الذي صفّق مطولا وبحرارة. ولقد تمت دعوتنا كمشاركين في المهرجان القادم.

• أنا مؤمن تماما بحالمية الفنانين ورهافة إحساسهم. لذلك دعيني أسألك ما يلي: ماذا تهمسين في داخلك بينما تحدثين نفسك من وقت لآخر، وبماذا تفكرين عندما تضعين رأسك فوق الوسادة قبالة السقف الذي يحجب نجوم الليل عنك. هل تمضين قدما نحو طموحك المنشود، وأحلامك الجميلة، أم أن أشياء وعثرات تترنح في الطريق إلى ذلك. وضمنا دعيني أسألك عن نشاطاتك في الفترة القليلة المقبلة؟

كل منا يهمس لنفسه في خلوته معها، وإن كان السقف يحجب النجوم عني فإن عيني تخترقانه، وروحي كذلك، دائما أحلم بمستقبل أفضل لي وللبشرية من حولي، الإنسانية عالمي الذي أنتمي إليه، أؤمن بأنني سوف أستطيع أن أحقق طموحاتي وأصل إليها على بساط الأمل والعزيمة، وكل ما أصبو له سواء على الصعيد الفني أو العملي أو الشخصي.

بالنسبة للنشاطات المقبلة، سيكون هناك حفلتان لشرق بتاريخ 29 و30 من هذا الشهر، أيلول، وقد أُعلن عنها في المواقع الألكترونية وعلى صفحة شرق وصفحتي بموقع الفيس بوك، وفي مواقع أخرى. ومؤخرا، تشكّلت فرقة موسيقية حديثة باسم "نايا" وهي فرقة نسائية فقط.



تُعنى بتقديم القوالب الموسيقية الكلاسيكية الآلية والغنائية وإحياء كل ما هوأصيل من التراث الأردني والعربي، وهي فكرةالزميلة رلى جرادات برعاية وزارة الثقافة الأردنية. وقد كان حفل الافتتاح في الأول من شهر تشرين الأول من عام 2011.



الإبداع الفني في "الطباعة والتهشير والطباشيري والاكريليكي" ولد لديه أسلوب الطباعة غير التقليدية "الشين كوليه"

حاورته ياسمين الضامن*

يعد الفن التشكيلي الملاذ الذي يعبّر من خلاله الفنان عن فكره وعواطفه ورسائله وخواطره ومشاعره وردود فعله الناجمة عن عقله الباطن، مستخدماً الأدوات التي تمكنه من إيصال ذلك ضمن إطار جمالي .
وللفن التشكيلي أنواع عديدة: فمنها التخطيط، والرسم، والرسم الزيتي، والتصوير الجداري، والفسيفساء، والنحت، والطباعة (النقل عن الأصل)، والتصميم، والكتابة بالخط، والكولاج، والطباشيري وغيرها من الأنواع التي أسهمت، وما زالت في إثراء الحضارة الفنية على مر العصور والأزمنة.

* كاتبة أردنية

الفنان التشكيلي المصري الدكتور محمد عبد العال من الفنانين التشكيليين العرب القلائل الذين برعوا في معظم تلك الأنواع الفنية. وهو صاحب التجربة الفريدة في عالم الفن التشكيلي الممتدة عبر أربعة عقود تكللت بنيله جائزتين هما: الجائزة التقديرية والجائزة التشجيعية من المجلس الأعلى للفنون في مجال الجرافيك في مصر.

إبداعاته الفنية التي شملت فنون التهشير، والطباعة.(1) والطباشيري(2) والاكريليكي، وتجاوزت الثلاثين ألف عمل تشكيلي عرضها في العديد من المعارض الفنية في دول عربية وأوروربية.

كيف ظهرت لديك موهبة الفن التشكيلي؟

كنت أتمنى بداية دراسة الهندسة الرياضية، إلا أني التحقت بكلية العلوم لدراسة الرياضيات، ثم انضممت إلى جماعة الفن وبدأت أجد أنني أقوم بشيء أنا سعيد به، وبدأ الفن يشغل اهتماماتي، ولدي لغاية هذه اللحظة النماذج التي رسمتها. بدأ اهتمامي بالعلوم الأخرى يقل وبقيت هكذا أبحث عن هويتي حتى اكتشفت وجود كلية الفنون الجميلة بالصدفة عن طريق زميلي الذي شجعني على الالتحاق بها وأرشدني إليها قائلاً: "أنت الذي علمتني الرسم".

وبدأت كأي طالب يرسم ما هو مطلوب منه، لكن عندما تخرجت، سألت نفسي ما هي الإضافة التي يمكن أن أقدمها؟ حتى جاء أستاذي بعد أربعة عشر عاماً من ألمانيا متصوفاً، وبدأ يعمل في المدرسة الحرفية الإسلامية؛ بحثاً عن بديل للرسم بوصفه حراماً، مفسراً ذلك بأننا (عرب مسلمون شرقيون) يجب أن يكون لنا ما يميزنا، وبدأ يعمل على جمال الحرف العربي للكلمة والجملة ثم النعت في الليونة والتعشيق والاستدارة.

وهكذا أصبح الفن لدّي تجريدياً حروفياً، وكان عملي في الطباعة، لكني لم أجد إمكانيات لتنفيذ الطباعة، فانتقلت من الطباعة إلى التهشير (وهو عبارة عن خطوط متجاورة متوازية، إما مستقيمة أو منحنية لضربات القلم المتتابعة، ولا تظهر بداية الخط من نهايته، ويستفاد منه في إظهار طبيعة المادة، إما أن تبدو

---

(1)هي خلق صورة على مصفوفة لغايات فنية، يتم بعد ذلك تحويلها إلى سطح ثنائي الأبعاد بواسطة الحبر (أو شكل آخر من التصبغ) عادة يكون السطح العلوي من الورق عند الطباعة التي يتم طباعتها، ولكن هناك استثناءات، من القماش وورق الرق إلى المواد الحديثة.

(2)- يستخدم هذا الفن خامة شبيهة بالفحم حيث يتم معالجتها ببعض الأصباغ والصمغ، وألوان الطباشير التي كانت تستخدم في الماضي وهي الأسود والأحمر والأبيض.

بمظهر الخشب أو المعدن أو القماش وذلك حسب الخطوط التي يرسمها الفنان).

وانتقلت بعدها لدمج الكولاج مع اللون وصنعت منه لوحة فنية. وهذه مدرسة تجريبية تجريدية. والكولاج فن تجميع قصاصات الجرائد. والأشرطة. وأجزاء من الورق الملون التي صنعت باليد. ونسبة من الأعمال الفنية الأخرى والصور الفوتوغرافية؛ حيث تُجمع هذه القطع وتلصق معاً على قطعة من الورق أو القماش وبالتالي تكوين شكلٍ جديد.

وحالياً أستخدم الإكريليك. (وهي خامة حديثة في الفن. وشبيهة بالألوان المائية من حيث الوسيط فهي تذاب في الماء. إلا أنها تشبه الألوان الزيتية في ثباتها بعد الجفاف وتصبح أكثر لمعاناً من ألوان الجواش. ويتمتع الأكلريليك بالمرونة وتعديل الأخطاء مثل الألوان الزيتية).



ما هي المحطات التي مرت بها رحلتك الفنية؟

مرت رحلتي الفنية بثلاث محطات أساسية منذ 1970 وحتى 2012.

المحطة الأولى هي الفترة التي كانت تمثل العلاقة الجدلية بين محاولة الاكتشاف والبحث من خلال الأدوات والوسائط التي تفرضها تلك الفترة من الوعي والتفهم بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات لرؤى ذاكرة الفنون في القرن العشرين، وتطلعات القرن الحادي والعشرين. بوصفها كيفيات حسية خاصة من شأنها تكوين مفهوم لموضوع حسي جمالي مشروط بقواعد حاكمة وخاضعة للتجريب والتأليف والكشف، واستغرقت هذه المحطة خمس سنوات. من عام 1970وحتى عام 1975.

أما المحطة الثانية فهي الفترة الثانية التي ظهرت فيها محاولات عديدة في مجال الأداء التعبيري بأساليب جديدة وطرق عديدة ومتنوعة الأداء. فجمعت بين المعالجات التقليدية القديمة في مجال الطباعة الفنية المقيدة بقواعد وشروط حاكمة للمادة، وبين محاولات مستحدثة تتسم بحرية التعبير والتجريب مواكبة لموجات الحداثة التشكيلية.

وتطويع ذلك للإبداع والكشف عن رؤى جديدة متسمة بالمدرسة التجريبية التجريدية الحروفية. واستغرقت هذه الفترة عشرة أعوام من عام 1975 إلى 1985. وأنجزت فيها العديد من الأعمال والمشاركات الفنية المحلية والدولية العالمية.

وفي المحطة الثالثة أصبحت المادة مجالاً للاستغراق والاستقطاب؛ أي تحولت المادة إلى قوالب حسية تنطوي على انفعالات وصور وأفكار وبدورها تحولت إلى أعمال إدراكية اصطلاحية.بمعنى أن المادة تحقق صورة الرؤية الفنية. وليس العمل الفني فقط؛ لأن الفعل يتحقق قبل أن يقع العمل تحت نظر الفنان وسيطرته المباشرة.

وأيضا شهدت في هذه المرحلة حرية أكبر في التعبير. وذلك لأني كنت أعد أطروحة الدكتوراه التي شغلني جداً موضوعها. وهو ""أثر التراث والتقنيات المتقدمة من أسلوب التعبير للطبعة الفنية". واستخدمت فيها أسلوب "الشين كوليه ".(3) فكان تحدياً وصراعاً مع المادة كونها وسيطاً تعبيرياً للمادة بكل ما فيها وما عليها. فاتسمت المعرفة بإمكانياتها. وطرق معالجتها

(3) اشتق اسمه من كلمة China وهي الصين وكوليه من أسلوب اللصق. وهو أسلوب طباعي يتم فيه تجهيز القالب الطباعي بلصق بعض المواد المتنوعة أو بلصق وتجهيز سطح الورقة التي يتم الطباعة عليها بصور أو كتابات أو أي عناصر أخرى. ثم تتم عملية المزج ونتيجة ذلك نحصل على نسخة طباعية أصلية معقدة التركيب والأسلوب.

وازدياد الأفكار التخيلية والقدرة الابتكارية من خلالها، فلكل مادة حدود وإمكانيات ونواحي فيها قصور وإيجابيات، الأمر الذي يلزم تطويعها والتعبير من خلالها.

لقد أثمرت هذه الفترة أعداداً هائلة من الأعمال الفنية من خلال الوسيط التعبيري للشاشة الحريرية (سيلكسكرين) تحمل الطابع الفني الإسلامي، خاصة الخط العربي في شكله ومضمونه والطاقة التصويرية للحروف والتعبير الصوفي الكامن في القرآن الكريم ليس هذا فحسب، بل تنوع التعبير ليصل إلى حقيقة واحدة هي وحدة الموجودات ووحدة الوجود كآيات تشهد بمطلق وحدانية الله سبحانه حتى عام 1990.

تحولت التجربة الفنية لدي عام 1993 إلى إمكانية الوحدة بين الشكل والمضمون على نحو يؤدي بالحروف لوظيفة خاصة وهي "المحاكاة الصوتية بالمحاكاة البصرية" أي استخدام كلمات يوحي صوتها بالمعنى أي أكثر توضيحاً استخدام حروف وكلمات كمعادل بصري توضح المعنى بفضل شكلها وتكوينها وإيقاعها، وهي استعارات خطية غير مباشرة تجعل من العمل الفني صفة تجريدية أكثر عمقاً. وكانت هي مجموعة من الأبحاث العلمية الفنية العملية والتطبيقية التي تقدمت بها للترقي لرتبة أستاذ مساعد في كلية الفنون في جامعة الإسكندرية عام 1999.

ولأني كنت أتطلع إلى الأستنادية كان لزاماً علي أن أبحث من جديد عن عالم أكثر دقة بالمحسوس، فانتقلت من البعد التقني للمادة وتجاوزته إلى مرحلة الإبداع، وهي مرحلة ترتكز على ثلاث ركائز مهمة هي الإحساس والنظام والخيال، وهي نظرية نقدية متمردة على القوالب التقليدية في الفن وتكمن في ميكانيزم الشكل البنائي الفني الداخلي، وليس على أبعاده الرمزية والتصويرية، مستنداً إلى فلسفة العلم المشتق من النسبية، خاصة نسبية الطاقة الكامنة في المادة وظواهرها الخارجية وأيضاً البنيوية والتفكيكية والسيميولوجيا والأيكونوغرافيا (علم الرموز).

وأثمرت هذه الفترة من 1999 حتى 2003 كماً كبيراً متنوع الأداء والتقنية، خاصة تلك التي أسميتها "الكولوجراف، الشينكولية" وهما تقنيتان سجلتا وأضيفتا إلى تقنيات الطباعة الفنية وحصلت بهما على درجة الأستاذية في الطبقة الفنية عام 2004.

وفي عام 2003 انتقلت إلى الأردن للتدريس في قسم التصميم الجرافيكي في جامعة فيلادلفيا، ولم تتوقف التجربة الفنية لدي بل

أخذت مساراً آخر ونهجاً موازياً؛ فقد استخدمت أسلوب الرسم بالحبر الأسود والأبيض؛ لعدم توافر إمكانية الطباعة الفنية. وأثمرت هذه الفترة عن مئات. بل تعدت الألف عمل فني. إلى جانب بعض المحاولات الملونة بالألوان المائية والأكريلك والباستيل والخامات المتنوعة.... ولا زالت التجربة مستمرة. كلما كان في العمر بقية.

ماذا تعني لك جدلية اللونين الأبيض والأسود؟

اللون الأبيض سلام تارة. واستسلام تارة أخرى. أما اللون الأسود فهو إعلان حزن محتج وسمو ووقار معاً. فلا لون يقهر الأسود لأنه كل الألوان.

والأسود مخزون في جسد الخوف والمجهول والحزن واليأس والاستعداد للانطلاق. تجتمع معاً؛ لتعكس حالة من الاتزان والوقار الناتج عن هذه الديناميكية.

أما جدلية الأبيض والأسود بالنسبة لي تغير مفهوم اللون. وانطباعنا عنه. فكلتا الحالتين تمثلان موضوعاً ديناميكياً يذكرنا فيه اللون الأسود بكارثية الحوادث ليعيد انتظام الذات ويجعلها تصل إلى الاتزان؛ حيث السكينة المانحة للوقار في وقت ما.

وتحمل الأعمال حديثاً ذاتياً ومخزون معنى الليل في فترات الذاكرة المختلفة التي تجعل من التحفز أداة تحرك السكون إلى ديمومة الحركة.

وهذه الحركة من الخطوط المرسومة تشكل تلك الطاقة المختزنة والموروثة من خلال مفهوم اللون؛ لتجعل من التحرك والسكون مروراً بحالة الاتزان أساساً للنشاط البشري؛ حيث التواصل والتفاهم مع الذات ومع الآخر.

وتكمن الطاقة في مجمل الأعمال كنقطة مرجعية للدلالة على الدفء. الذي يعكس





بدوره الذاكرة المخزونة لدى المتلقي. وتتم ترجمة الأسود والأبيض بدلالاتهما في الذاكرة بلا حدود. مجسدة ذلك التوازن: فالتوازن هو الهدف المنشود للذات البشرية.

هل تسمي أعمالك الفنية؟

لا اسم لأي عمل: لأن الاسم يجمد التصور والتأمل بل ويحد من امتداده وتعدده ويجعل للمتلقي مجالاً واحداً هو موضوع العمل، فلا يسمح للتخيل أو للإحساس أن ينطلقا بلا حدود، كما أن الاسم يكون ترجمة مقدمة من المؤلف عن عمله. فالأولى به أن يقدم الترجمة دون النص الأصلي أو يكتفي بالنص دون ترجمة.

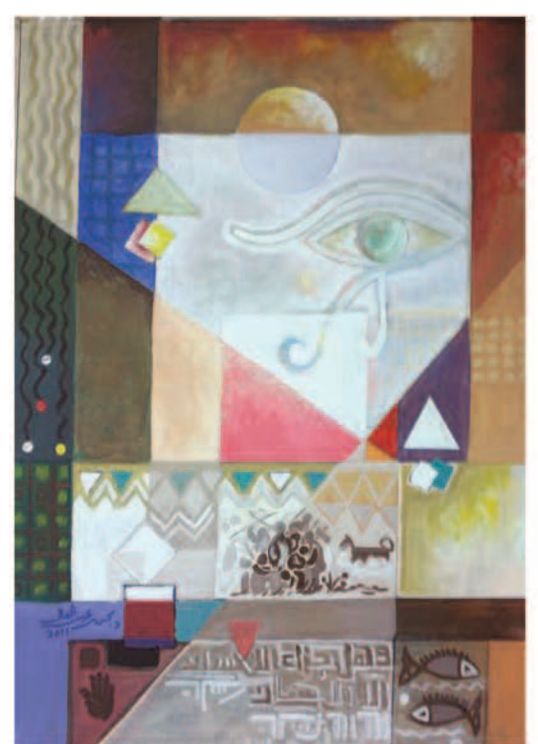
من أين تأتي بالفكرة التصميمية؟

الأفكار هي عادة نوع من الخواطر. وحالة من انفعالات المرء: التي يتألم منها أو يحبها فتترجم بشكل عملي وفني. والصور كامنة في السطح وموجودة في الخيال. فلو انطبقت الصورة الموجودة في الخيلة مع تلك الكامنة في السطح لتوقفت عن العمل. والصورة بالنسبة لي لون وشكل وكما تقول النظرية: "لا يمكن أن يرى اللون إلا بشكل والشكل يرى لوناً".

ممن تأثرت في مسيرتك الفنية؟

كان لأساتذتي وهم الدكتور أحمد ماهر رائف. والدكتورة مريم عبد العليم. والدكتور صبري حجازي أثر مهم في مسيرتي الفنية. فالدكتور أحمد ماهر رائف هو من أيقظني ووجهني إلى







ذاتنا وتراثنا بعدما كنت تائهاً لا أعرف مذهباً ولا أسلوباً.

أما الدكتورة مريم فهي التي أعطتني الحرية في العمل. ما فتح لي آفاقاً من الإبداع الفني. وكانت تقول لي: "اعمل مثلما تريد." وبدأت معها العمل في التراب والمواد الشمعية.

وكان لفلسفة الدكتور صبري الفنية أثر مهم عندي. لقد كان يحثني على رؤية العمل الفني من زوايا لا تخطر على بال أحد. قائلاً لي: "نحن نعمل في الفن."

ووالدتي أولاً وأخيراً هي الفكرة والعلم. وكان لديها عين ناقدة أفضل من الكثير من الأساتذة. كنت آخذ ملاحظاتها الفنية على اللوحات التي أرسمها. وأجد أستاذي يقول لي نفس ملاحظاتها.

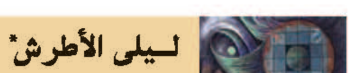
برأيك. ما الذي ينقص الفنان التشكيلي العربي؟

ينقصه ما ينقص أي نابغة. فنحن لا نساعد بعضنا بعضاً. وللأسف هناك إنكار جهد وتكسير المجاديف وإحباط. ولا يوجد عمل بالمعنى الحقيقي لروح العمل ضمن فريق. ففي أوروبا يتم العمل ضمن فريق عمل. وتشجع المؤسسات الرسمية المواهب: مالياً ومعنوياً. فالفن حياة الفنان وبدون الدعم والتشجيع لا إبداع فنياً.



الفصحى والعامية

في مئوية نجيب محفوظ



قد يكون من المفارقة المحزنة أنّ طالب بعض الفكر السلفي بمنع كتب نجيب محفوظ، واعتبارها من نوع الفسق والإباحية متزامنا مع مئوية هذا الأديب الفذ، الذي نذر نفسه للكتابة بطقس يومي وإصرار على رصد التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية لبيئته، ليصل بها إلى العالمية، فكان الأديب العربي الوحيد الحائز على جائزة نوبل، الذي ترجمت أعماله إلى جميع لغات

* روائية أردنية

العالم، وتناولتها الوسائط السمعية والبصرية كما لم يحدث مع كاتب عربي آخر. كما تعرّض محفوظ لمحاولة اغتيال على يد شاب متعصب لم يقرأ من أعماله شيئا.

المفارقة أنه في حين هاجم الشباب المتطرف محفوظ كان أول من تنبأ بعالميته وتميزه من النقاد الكبار هو سيد قطب المفكر الإسلامي وزعيم جماعة الإخوان المسلمين، حين كتب نقداً لروايته خان الخليلي عام ١٩٤٥ في مجلة الرسالة كما ورد في كتاب "أقنعة نجيب محفوظ": "هذه الرواية تسجِّل خطوة حاسمة في طريقنا إلى أدب قومي واضح السمات متميز المعالم خال من تأثير الشوائب الأجنبية... نستطيع أن نقدمه على المائدة العالمية فلا يندغم فيها، ولا يفقد طابعه وعنوانه". وسيد قطب وأنور المعدّاوي هما الناقدان المؤثران اللذان تصديا للتعريف بأدب نجيب محفوظ رغم بعض الدراسات والمقالات لكتاب آخرين سبقت أو تزامنت معهما في الصحف اليومية.

وسيد قطب أول من نبّه في مقالة أخرى على الإسقاط التاريخي في رواية محفوظ "كفاح طيبة" التي صوّرت ثورة الشعب المصري على الهكسوس، داعيا إلى ثورة الشعب ضد الإنجليز وإجلائهم عن مصر.

قابلت نجيب محفوظ أثناء عملي التلفزيوني بعد نيله جائزة نوبل، وسُمح لي بساعتين، وقبل وصول التلفزيون الياباني لتصوير فيلم وثائقي عنه في جريدة الأهرام حيث مكتبه، وحواري القاهرة، وفي بيته ومع حرافيشه، ومنهم المخرج توفيق صالح والممثل أحمد مظهر.

وحين تقابل ضيفاً بحجم نجيب محفوظ عليك قراءة كل ما كتب عنه لعلك تجد مدخلاً لم توسعه مئات الدراسات النقدية عن المضمون والشكل في أدب نجيب محفوظ؛ فكتاباته وحده تصلح لتطبيق أي منهج نقدي عليها وهي من سمات أدب متفرد ومتميز. كان مدخلي لمحاولة الاختلاف هو منع روايته "أولاد حارتنا" الفلسفية ورأيه في التفسير النقدي حول مضمونها، ثم موقفه من العامية والفصحى.. وحق المخرج في التصرّف بالنص الأدبي بما يتلاءم ونظرته الفنية.

ولأن نجيب محفوظ لم يكتب بالعامية أبداً أجاب إن أصعب ما يواجهه في كتابة الرواية هو الحوار الذي يستغرق التفكير في كلماتها أكثر من الكتابة بجملها.. هي الفصحى

التي لا تبتعد عن المتداول من الكلام، والعامية التي ترقى إلى الفصحى المستعملة، هي اللغة الثالثة.

أما عن "أولاد حارتنا" فرفض محفوظ التفسير القائل بأنها تتستر بالفلسفة لطرح موقفه من الخلق والرسل.. وأكد أنها رواية عادية رغم الوقف والجبلاوي والإيحاءات الأخرى فيها.

ولأن نجيب محفوظ مارس الكتابة السينمائية من خلال سيناريوهات كتبها خصيصا للسينما، فقد احترم رؤية المخرجين للأعمال الأدبية التي يحولونها إلى سينما أو مسرح وقال "المخرج هو مؤلف ثان" ومن حقه أن يغيّر كما يشاء، لأنه يكتب نصا لجمهور آخر.

بمثل هذا الفكر والتواضع والمثابرة وصل نجيب محفوظ للعالمية لأنه استحقها بجدارة رغم بعض الأصوات المشككة بأنها مُنحت له لأسباب سياسية.

ومنذ العام ١٩٥٠ بدأت الدراسات النقدية المعمقة لأدب نجيب محفوظ ما دعا ناقدا بحجم لويس عوض أن يكتب "ما عرفت كاتبا رضي عنه اليمين واليسار والوسط، ورضي عنه القديم والحديث ومن هم بين بين مثل نجيب محفوظ".

